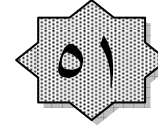




المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية (الأخلاقية)



ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
العدد ٥١ - رمضان ١٤٣٢ هجرية قمرية
مرداد ١٣٩٠ هجرية شمسية / أغسطس (آب) ٢٠١١

- الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:
الجمهورية الإسلامية في إيران - طهران - ص.ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥
العنوان الإلكتروني: info@taghrib.ir
الطباعة: حسين المندلوي / على حروف (قلم برتر) خاص بالنشر المحترف
النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتم بعرض الأفكار التي ترتبط
بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة،
مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام
مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزة والكرامة
واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي
إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

- ١- أن يكون المقال ما قل في الصفحات ودل على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحة الأمة ووحدتها .
- ٢- للمجلة الحق في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجماً مع الإطار العام للمجلة.
- ٣- يحق للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبها تجنباً لتكرار الأسماء.
- ٤- ننشر أيضاً مختارات وعصارات مما كتب في تراث التقريب.
- ٥- المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلة سوف ننشرها أيضاً إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقنا في التعليق.



وقفات عند فكر

الإمام الخامنئي

خطاب السيد القائد لدى لقائه بعوائل

الشهداء القادة في طهران

(١٧/٢/١٣٧٦ هجرية شمسية - ٢/٧/١٩٩٧ م)

المحتوى

العدد ٥١

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي	٤
الوعي الإسلامي أمام امتحان كبير	١٦
شهر رمضان تعبئة وتوحيد وتقريب	٢١
المثقفون والبحث عن تصحيح الصورة.....	٢٥
الوحدة الإسلامية والابتلاء بالجمود والتطرف الديني	٤١
مقتطفات من اشعار جلال الدين الرومي	٥٤
السيد محسن الأمين العاملي	٦٥
التثقيف والتقريب	٧٧
أكبر خان والمذاهب	٨٨
جمعية منتدى النشر(٢)	١٠٢
الأديب البيشاوري علم وجهاد وأدب	١١٤

• إنَّ جهود صيانة الشهداء قد لاتقلّ أحياناً عن الشهادة • رسالة الشهداء هي أن تتجاوزوا الذاتية مقابل الأهداف الإلهية • مسيرتنا الحياتية كلها حرب «أُحَد» • نداء الشهداء هو عدم الاستسلام أمام وساوس الغنيمية • الأعداء يركزون أكثر مما يركزون اليوم ثقافياً وسياسياً على ما يجعلونا منفعلين تجاههم • الشعب الإيراني أثبت أنه يأبى أن يتراجع خطوة واحدة أو يتغافل عن مبادئه الإسلامية • الشعب يدلي بصوته لمن يعلم أنه يصمد بوجه أمريكا والحكومات المعتدية الطامعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس موقر وعظيم معنوياً، شذى الشهادة عبق، وجوّ مدينة طهران هذه الأيام يفوح فيه عطر ذكرى آلاف الشهداء الأعزاء

العظام لهذه المدينة. لا شك أن فضيلة الأسر الكريمة للشهداء وعظمتهم تأتي في الدرجة الثانية بعد فضيلة الشهداء. أنتم يا أسر الشهداء حُماة خندق الشهادة والمدافعون عن ثغور الفضيلة طوال سنوات الدفاع المقدس. معنوياتكم ومعنويات أبناء الشهداء. وقد استمعنا الآن إلى إضاءات جميلة منها على لسان أم ثلاثة شهداء ونجل شهيد قائد. استطاعت خلال سنوات الدفاع المقدس وبعدها أن تحافظ على عظمة النظام الإسلامي ومعنويات الشعب الإيراني الكبير، وأن تُضعف معنويات الأعداء.

أتقدم بالشكر للإخوة في حرس الثورة على اهتمامهم بتكريم الشهداء. جميعنا يجب أن نهض بمهمة التكريم.. الحرس.. الجيش.. قوات التعبئة.. مراكز جهاد الأجهزة الحكومية.. عليهم أن يحيوا ذكرى الشهداء، وأن يبقوا حيّة جذوة مفهوم الشهادة، هذا المفهوم العظيم القيم وذو التأثير الكبير، في بلد إيران الإسلامي، وبين الشعب الإيراني المناضل، وإن كان دم شهدائنا الطاهر قد أحيا هذا المفهوم على المستوى العالمي.

المهم حفظ طريق الشهداء، أي صيانة دم الشهداء. هذا واجبنا الأول. نحن مسؤولون جميعًا أمام دم الشهداء، لأن يكون هذا مسؤولاً وهذا غير مسؤول. من الطبيعي أن المسؤولية الأكبر تقع على عاتق الذين يحملون في هذا المجال مسؤوليات كبيرة أو صغيرة.

الشهيد ظاهرة عظيمة وحقيقة مدهشة، هذه الحقيقة النورانية والقدسية خافية أمام أعيننا بسبب كثرة ما اعتدنا أن نراه من شهداء وما شاهدناه من توضيحات ووصايا والمساحات التي استشهدوا فيها، كمثل عظمة الشمس التي تخفى لشدة ظهورها لمن كان في الشمس دائماً.

في العهد السابق (في العهد السابق على إقامة دولة الإسلام في إيران) حين كان يأتي ذكر نموذج من نماذج شهداء عصر صدر الإسلام فإنه يبعث في قلوبنا وأرواحنا بل وفي أعمالنا ونوايانا تغييراً واضحاً وعميقاً، واليوم فإن كل واحد من شهدائنا يشكل كوكباً يستطيع أن يضيء العالم، حقيقة الشهادة إذن حقيقة عظيمة.

لو أن هذه الحقيقة، قد حافظ عليها الذين يستشعرون المسؤولية أمام الشهداء، وعمقوا قدسيتها وعظمتها فإن الأجيال في المستقبل ستنعم من هذه التوضيحات، كما نعمت البشرية ولا تزال بالدماء الزكية التي قدّمها سيد شهداء التاريخ أبو عبد الله الحسين (عليه الصلاة والسلام)، لأن الذين ورثوا هذه الدماء قد صانوها بأفضل سبل التدبير وأحسن الأساليب.

إنّ جهود صيانة الشهداء قد لا تقلّ أحياناً عن الشهادة. جهود الأعمام الثلاثين للإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) وجهود زينب

الكبرى (عليها السلام) لسنوات هي من هذا القبيل. بذلا جهودًا لصيانة هذه الدماء. وبعد ذلك أيضًا بذل الأئمة (عليهم السلام) جميعهم هذه الجهود حتى عصر الغيبة. واليوم نحن نتحمل هذه المسؤولية. طبعًا ظروف عصرنا تختلف عن تلك الظروف. حكومة الحق أي حكومة الشهداء اليوم قائمة. إذن علينا واجبات.

في المحصلة، يستطيع الإنسان أن يفهم أن الشهداء كان لهم موقفان وحركتان جميلتان ورائعتان، لكل منهما رسالة. أحدهما مقابل الذات الإلهية المقدسة، ومقابل الإرادة الإلهية، مقابل دين الله وتجاه عباد الله ومصالحهم، والآخر تجاه أعداء الله. إذا حللتهم سيرة الشهيد ومعنوياته وموقفه، تحصلون على هذين الموقفين.

الموقف تجاه الله وعباد الله وأمر الله وما يرتبط بالذات المقدسة الإلهية عبارة التضحية. موقف الشهيد تجاه رب العالمين موقف تضحية وإيثار. التضحية تعني الإعراض عن الذاتية. هذا أول موقف من مواقف الشهيد. لو أنه كان قد فتح حسابًا لنفسه ولم يعرض نفسه للفناء والخطر لم يكن يبلغ هذه الدرجة. هذا الشاب الذي حارب في شدة حرارة خوزستان وتحت شمس لافحة تبلغ خمسًا وستين درجة، أو في شدة برودة كردستان على جبال الثلج.. إنما ذهب إلى تلك المناطق مضحيًا بنفسه. كانوا جميعًا يعيشون في بيوت إلى جانب الأب والأم الحنونين، بعضهم كان له زوجة حميمة

عزيزة، بعضهم كان له أولاد هم فلذات كبده، كانوا هانئين، وكانت لهم آمال، لكنهم أعرضوا عن كل ذلك وذهبوا إلى ميدان الشهادة.

نحن الذين نريد أن نكون أمناء على رسالتهم، ما هي رسالتهم؟ رسالتهم هي أنكم إذا أردتم رضا الله سبحانه وأردتم أن يكون وجودكم نافعًا على طريق الله وأن تتحقق مقاصدكم وأهدافكم السامية الإلهية في عالم الخليقة، فيجب أن تتجاوزوا الذاتية مقابل الأهداف الإلهية. هذا ليس تكليف بما لا يطاق، بل تكليف بالمقدار الذي يمكن تحقيقه. متى ما فعلت مجموعة مؤمنة ذلك تنتصر كلمة الله. ومتى ما اهتزت أقدام المؤمنين فإن كلمة الباطل تنتصر دون شك.

في مرحلة الثورة، المؤمنون قدّموا وضّحوا فانتصرت الثورة. حدث ما لم يكن يتوقعه أي محلل، وهو إقامة حكومة الإسلام، حكومة الدين في هذه المنطقة بالذات من العالم. من كان يتوقع ذلك؟ من كان يصدّق أن يحدث ذلك؟ ولكن حدث ذلك الذي كان يُخال أنه مستحيل ببركة حركة الشهداء والمؤمنين والمضحّين. وما ذلك إلا لأن جماعة من المؤمنين. ولا أقول جميعهم. قد تجاوزوا ذاتياتهم. الكل يجب أن يسعى لأن يكون جزءًا من هذه الجماعة، كي ينالوا هذا الافتخار.

وأينما خلت الساحة من التضحية، كما حدث مرارًا في التاريخ، وعلى سبيل المثال في عصر الحسين بن علي (عليه الصلاة والسلام) حيث تخلت الأثرية القاطعة من الخواص والمؤمنين عن مسؤوليتها، وخافت، وتراجعت، عندئذ انتصر الباطل (ولو على الظاهر) وتولى يزيد الحكم، وحكم الأمويون تسعين سنة، وحكم العباسيون خمسة أو ستة قرون، وكان امتداد الباطل هذا على المساحة التي تراجعت فيها كلمة الحق. وقد ذكر لنا التاريخ المعاناة الكبرى التي لحقت خلال تلك العصور بالناس وبالمجتمعات الإسلامية وبالمؤمنين.

أيها الأعزة! مسيرتنا الحياتية كلها حرب «أُحَد». لو تحركنا بالشكل الصحيح، فإن الهزيمة ستلحق بأعدائنا، ولكن ما إن تنشُد أنظارنا إلى الغنائم، ونرى نفرًا يجمعون الغنائم، فيثور الحسد في نفوسنا ونترك الخندق ونساق وراء الغنائم، فإن الوضع سيتغير. ورأيتم أن الوضع قد تغير في حرب أُحَد. وتكرر أحد على مر التاريخ.

القائد الإلهي العارف بوجه الحقيقة بقلبه النوراني (رسول الله صلى الله عليه وآله)، جعل جماعة في نقطة معينة مرتفعة وقال لهم: اثبتوا في مكانكم وحافظوا على الجبهة. ولكن ما إن رأوا نفرًا في الاسفل يجمع الغنائم حتى اهتزت أرجلهم. لو تحدثت معهم فردًا فردًا لقالوا: على كل حال نحن أيضًا بشر، ولنا حاجات، ولنا أهل

وعيال، ونريد أن نعيش. لكن رأيتم أن هذا الاستسلام أمام المطالب البشرية التافهة كم كانت له من نتائج فادحة، كُسرت ثنايا النبي، وجرح جسده المبارك، وغُلبت جبهة الحق، وانتصر العدو، واستشهد ذلك العدد الكبير من عظماء الصحابة.

نداء الشهداء هو عدم الاستسلام أمام وساوس الغنيمية. هذا هو نداؤهم لنا ولكم ولكل من يحترم هذه الدماء التي أريقت ظلماً. لا تنظروا إلى ذلك الذي سلك طريق الانحراف وانهمك في جمع الغنائم: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ انظروا إلى أنفسكم وحافظوا على ثباتكم. هذا هو نداء الإسلام ونداء دم الشهداء.

تلك الأيام التي توجه فيها الشهداء إلى ساحات الشهادة، كان هناك من لم يذهب إلى الجبهة، كان بعضهم مشغولاً في كسبه، وبعضهم في جمع المال، وبعضهم في استغلال الفرصة، وبعضهم في الخيانة. والشهداء لم يلتفتوا إلى هؤلاء، بل ذهبوا إلى الجبهات وكانت النتيجة أن حفظوا النظام الإسلامي، وكل واحد منهم اليوم نجم ساطع وشمس مضيئة. من هنا فإن النداء الأول هو تجاوز الأنا أمام الله سبحانه وأمام عباده وأمام الإرادة الإلهية. لا بد من حفظ هذا النداء. أيها الأعزة! ليس هذا بالأمر الذي يمكن التساهل فيه إنه يتطلب تحركاً وإرادة.

النداء الثاني، إنما هو في مقابل أعداء الله، أي الاستقامة، والثبات المطلق، وعدم الخشية من العدو، وعدم الخوف منه، وعدم الانفعال أمامه. إنها لمسألة مهمة للغاية أن لا ينفعل الإنسان أمام العدو. كل ما يسعى إليه العالم المادي المستكبر اليوم. أعني هذه الحكومات الاستكبارية التي تمسك بزمام الاقتصاد والتسليح، بل تمسك في بزمام الثقافة في كثير من البلدان. هو أنها أينما وجدت مقاومة تفككها وتفتتها عن طريق إيقاعها في الانفعال. الانفعال أمام العدو من أكبر الأخطاء. لا بد أن نحسب لعداء العدو حسابنا، أي أن لا نهون منه ونعدّ العدة أمامه ونستعد للدفاع، ولكن لا يجوز أن تدخل إلى قلوبنا رهبة منه، ولا يجوز أن ننفعل أمامه. العدو يستهدف إيقاع المجتمعات في الانفعال.

هؤلاء يركزون أكثر ما يركزون اليوم ثقافيًا وسياسيًا على ما يجعلوننا منفعلين تجاههم. يثيرون ضجة بشأن المرأة، ويثيرون صخبًا بشأن قضية حقوق الإنسان، وضجيجًا باسم الديمقراطية، وضجة بشأن حركات التحرير. أكبر الأخطاء في هذه الضجيج أن نتجه نحو خطاب يرضيهم. هذا هو الانفعال.

من الخطأ الفادح أننا نتحدث في مسائل حقوق الإنسان بشكل يرضيهم. هؤلاء الذين لا يراعون أية أهمية لحقوق الإنسان. بالمعنى الحقيقي. يحولون ذلك إلى هراوة ينزلونها على رؤوس من يريدون.

عجبًا! أمريكا أصبحت رائدة حقوق الإنسان!! قبل الحرب التي فرضها النظام العراقي على إيران كان ذلك النظام راعيًا للإرهاب. وخلال السنوات التي استطاع مقاتلونا الأبطال أن يدحروا العدو ويهزموه من الحدود، وبذلك اضطر العدو الصدامي أن يواجهنا بالأسلحة الكيماوية وأسلحة الدمار الشامل أي أن يرتكب جرائم حرب.. في تلك السنين شعرت الدائرة الأمريكية بضرورة دعم الجبهة العراقية كي تستطيع الجيوش المعتدية أن تؤدي دورها الخياني تجاه الجمهورية الإسلامية الإيرانية. في تلك السنوات التي استخدمت فيها الحكومة العراقية الأسلحة الكيماوية عمدت أمريكا إلى حذف العراق من قائمة الدول الراحية للإرهاب. هذه هي صورة دعمهم لحقوق الإنسان!

أكبر دعامة لنقض حقوق الإنسان في أية نقطة من العالم هي هذه الدول المستكبرة من أمثال أمريكا. ثم إن هؤلاء يرفعون عقيرتهم بالدفاع عن حقوق الإنسان ويصيرون منها هراوة يشهرونها بوجه الشعوب والحكومات التي تتحداهم! ولو كان في هذا الجانب من يتحدث عن حقوق الإنسان بشكل يرضيهم، فهذا خطأ سياسي فادح هذا يعني الانفعال أمام العدو.

في مسألة المرأة أيضًا الأمر كذلك. بعد إقامة دولة الإسلام استطاعت المرأة الإيرانية بفضل الله أن تجد شخصيتها الحقيقية

إلى حد كبير. وأن يكون لها حضور في الساحات المختلفة، وأن تبرز عظمة المرأة المسلمة ومعنوياتها. وقد رأيت نموذج ذلك من أمهات الشهداء في هذا المجلس وأمهات سائر الشهداء.

أينما التقيت بأمهات الشهداء وجدتهنّ أصلب عودًا من آباء الشهداء. هذه العظمة تجدونها غالبًا في معنويات أمهات الشهداء العظيمة الشجاعاات. وهذه العظمة مشهودة أيضًا في الساحات السياسية والثقافية. وأمام كل هذا يأتي مَنْ يكتب ويثير الضجيج حول انتهاك حقوق المرأة في الجمهورية الإسلامية. ولو أننا أمام ذلك أطلقنا الحديث عن المرأة بشكل يتعارض مع رأي الإسلام . الذي هو مصدر عزة المرأة . من أجل إرضاء مصادر الضجيج فإن ذلك من الخطأ الفادح، لماذا يتحدث بعضهم في مجال المرأة أو حقوق الإنسان وكأنه يسعى أن يقرب موقفنا من موقف الغربيين؟! هؤلاء خاطئون. أولئك ينبغي أن يقربوا موقفهم من موقفنا. أولئك يجب أن يصحّحوا آراءهم الباطلة الخاطئة بشأن المرأة وحقوق الإنسان والحرية على ضوء رأي الإسلام، لأن ينفعل بعضهم في هذا الجانب. النداء الثاني للشهيد . الذي عمل به هو أيضًا . الاستقلال الإسلامي والاستقامة الإسلامية، وعدم الذوبان مقابل العدو، وعدم التخوف من العدو، وعدم الاهتمام بالقوة المنتفشة للعدو، كلّها تجلّي عظمة الثقة بالنفس والاتكال على الله في الأمور جميعها.

الشعب الإيراني قد أبرز هذه السمات في القضايا كلّها. وسوف

يبرز ذلك في المستقبل أيضًا. الشعب الإيراني أثبت أنه يأبى تمامًا أن يتراجع خطوة واحدة أو يتغافل عن مبادئه الإسلامية مقابل صلف الأعداء وطموحاتهم التوسعية من أجل التقرب من وجهة نظر العدو وإرضائه. هذا نهج جيّد. في هذه القضايا الجارية اليوم، في مسائل السياسة الخارجية، وفي حقل انتخابات رئاسة الجمهورية قد كان للشعب الإيراني ولله الحمد مواقف جيدة. وسوف يواصل هذه المواقف. في جميع هذه القضايا السياسية أو الثقافية يسعى العدو أن يجد له موضع قدم، وأن يتوغّل في المنظومة الثقافية للشعب الإيراني. والشعب الإيراني قد استقام بقوة وسوف يواصل استقامته. لقد بلغ الأمر بالعدو أن يتدخّل حتى في مرشحي رئاسة الجمهورية. يقولون عن هذا المرشح أنه أقرب إلى الغرب، وعن ذلك بأنه يدافع أكثر عن الإسلام، وهذا أقل! أي إن العدو يريد أن يتدخل في كل الأمور. الشعب الإيراني سيصرّ على أصوله الإسلامية في جميع هذه الميادين. والعالم يجب أن يعلم ذلك. من هذه الأصول المقاومة أمام الاستكبار والتصرف الاستكباري للحكومات التي تريد أن يكون لها موضع قدم في مسائلنا الداخلية. شعبنا سيكون دقيقًا في مواقفه ولا بدّ له من ذلك. لو أن أحدًا من مرشحي رئاسة الجمهورية قد أبدى أية مرونة مقابل أمريكا، ومقابل تدخل الحكومات الغربية، ومقابل العدوان الثقافي والسياسي للأجانب فلْيعلم العالم أن الشعب الإيراني سوف لا يصوّت لمثل هذا المرشح قطعًا.



الوعي الإسلامي أمام امتحان كبير

محمد علي التسخيري *

• الثورة الإسلامية الكبرى بددت كل أحلام أعداء الأمة • لقد كان لانتصار الثورة الإسلامية - رغم ما أحاطها من حروب إعلامية ومن تعتيم - أعظم الأثر في إزالة روح اليأس والإحباط من الشعوب • إن الذي يحدث اليوم على ساحة العالم العربي يشكل قفزة نوعية على طريق العزة والكرامة • الصحوة الإسلامية بحاجة إلى إبعادها عن حالة الانفعال التي قد تحركها إلى اتجاه يخالف أهدافها في الصمود والمقاومة أمام العدو الصهيوني • يحاول الإعلام المعادي أن يبرز نموذج طالبان ويشوّه صورة النموذج القائم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية • شهر رمضان فرصة لتعميق الوعي وتصعيد الإرادة.

إن وضع العالم الإسلامي عامة والعربي بشكل خاص كان يبعث على الأسى والأسف خلال العقود الماضية.

لقد فرضت عليه منذ سقوطه بيد الاستعمار هيمنة سياسية

*- الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الشعب يدلي بصوته لمن يعلم أنه يصمد بوجه أمريكا والحكومات المعتدية الطامعة والذين يريدون أن يفرضوا إرادتهم على الشعب الإيراني، والذين يبنون أن يشنّوا غزوهم الثقافي علينا. الشعب يميل أكثر مع من يلتزم أكثر بهذه المواقف. نحن نقول ذلك عن عامة الشعب، وربما يكون هناك نفر ممن له سليقته الخاصة ويفكر خلافاً لما يفكر به عامة الشعب. ليس لنا شأن بهؤلاء.

عامة الشعب الإيراني هم كذلك. مواقف الشعب الإيراني هي ذات المواقف التي تار من أجلها، وقاوم ثمانية عشر عاماً، وخاض حرباً فرضت عليه لمدة ثمانية أعوام. في سبيلها. وعلى العالم أن يفهم ذلك وسوف يفهم. أنا واثق، بفضل الله وعناية الإمام المنتظر أرواحنا فداه ودعاء روح الإمام الكبير، أن الله سبحانه سيكون ناصرنا، وأن الشعب في هذه التجربة سيعمل إن شاء الله لما فيه صلاح دينه ودينه. وسيشهد الشعب الإيراني إن شاء الله، وبفضله ومثته عصرًا جديدًا من التقدم والرفي.

أمل أن تكون الأرواح الطيبة للشهداء مسرورة بأعمالنا، وأن تدعو لنا بتحقيق الأهداف وإغداق مزيد من الفضل واللطف لدى رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

واقتصادية وأفطع منها ثقافية، وفرضت عليه حالة من الذلّ بسبيل مختلفة، منها تسليط الانظمة القمعية، وإثارة بؤر الأزمات الحدودية بين البلدان، وإثارة النعرات الطائفية والقومية، وإحباط كل عملية تطوير وتنمية، و..و.. وأشدّ من ذلك كله زرع غدّة سرطانية في قلب العالم الإسلامي باسم إسرائيل، تمارس عمليات الإذلال بأجمعها في بلدان المسلمين.

لكنّ الخمسينات والستينات لم تكن تخلو من حراك سياسي وثقافي على صعيد بعض الحكومات والشعوب، تجلت في حروب - وإن كانت فاشلة - مع إسرائيل، وفي مظاهرات تملأ الشوارع بين حين وآخر تجاه كل عدوان. غير أن توالي الإحباطات وفّر الفرصة لكمب ديفيد، لتكون - كما ظنّ الغرب وأمريكا وإسرائيل - نهاية كل حراك ووعي وانتفاض في العالم العربي والإسلامي.

لقد تصوّروا أن الاستسلام أمام السرطان الإسرائيلي هو نهاية حياة هذه الأمة.

لكنّ المفاجأة الكبرى جاءت من قاعدة المكر الاستكباري.. من إيران التي أريد لها أن تكون منطلقًا للقضاء على كل وعي وصحوة وانتفاض في المنطقة. فكانت الثورة الإسلامية الكبرى التي بدّدت أحلام أعداء الأمة: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ غير أن هذه الثورة كانت بحاجة إلى وعي شعوب المنطقة كي لاتصاب بطعنة من الخلف ولكي تكون هذه الشعوب

سندًا لثباتها واستمراريتها. لكن هذا الوعي كان مصابًا بسنوات من التراجع والتخدير، فاستغلت القوى المعادية للأمة ذلك، وفرضت عليها حروب شتى كانت غالبًا على يد «ذوي القربى» إحداهما حرب ظالمة استمرت ثماني سنوات.

لقد سجّل الإسلام مرة أخرى في تاريخه أروع انتصار حين تغلّبت الأمة في إيران - بفضل دوافعها الدينية - على كل تلك الحروب، وخرجت وهي مضمّخة بألوان الجراح، لكنها واقفة على قدميها بكل صمود وإصرار لتواصل طريق ذات الشوكة. وشاء الله أن تنكشف أوراق المعتدين، وينالوا سوء المنقلب وبئس المصير.

لقد كان لانتصار الثورة الإسلامية - رغم ما أحاطها من حروب إعلامية ومن تعتيم - أعظم الأثر في إزالة روح اليأس والإحباط من الشعوب، وبدأت ترى بأم عينيها قدرة الإسلام على مواجهة التحديات وعلى إقامة الدولة المعاصرة المتطورة والملتزمة.

لقد قدمت الجمهورية الإسلامية الإيرانية النموذج الذي كان يحلم به الإسلاميون «المخلصون» من جمع بين الأصالة والمعاصرة في حقل النظام السياسي والاجتماعي والفنون والآداب والعلوم والتقنية المتطورة.

قدّمت النموذج الأسمى للصمود بوجه التحديات والتهديدات، وعدم التنازل قيد أنملة عن مواقف العزّة والكرامة.

وكان لكل ذلك أثره في انبثاق الروح الجهادية في لبنان وفلسطين وفي أرجاء أخرى من العالم الإسلامي.

غير أن الذي يحدث اليوم على ساحة العالم العربي يشكل قفزة نوعية على طريق العزة والكرامة.. هذه الظاهرة الكبرى بحاجة أيضًا إلى وعي الأمة كي لا تطعن من الخلف كما طعنت الثورة الإسلامية في إيران.

بحاجة إلى إبعادها عن حالة الانفعال التي قد تحركها – لا سمح الله – إلى اتجاه يخالف أهدافها في الصمود والمقاومة أمام العدو الصهيوني.

بحاجة إلى أن لا تنخدع بنماذج بديلة من صنع أمريكا وإسرائيل.

بحاجة إلى أن تعلن عن أهدافها الرسالية الإنسانية بصراحة لا تأخذها في الله لومة لائم.

إنّ الإعلام الأمريكي والصهيوني يحاول اليوم بكل جهد لتشويه النموذج الإسلامي أمام الجماهير.

يقول: إنه يعادي الحريات الفردية والاجتماعية ويفرض على المجتمع حالة من التخلف، ويقطع الأيدي والأرجل!!

يحاول هذا الإعلام أن يبرز نموذج طالبان ويشوّه صورة النموذج القائم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

والغريب أن تهمة الإرهاب هي محور الإعلام المضللّ تجاه دولة الإسلام في إيران، بينما لاذنب لهذه الدولة سوى أنها تقاوم الإرهاب الصهيوني والأمريكي والغربي في المنطقة. هذه الدولة منذ قيامها تدعو إلى سلام مقرون بالعزة والكرامة وإلى رفض الاستسلام أمام غطرسة المتجبرين.

ومن المحاور الأخرى للإعلام المضلل الحديث عن انزواء المرأة والفنون في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بينما وجدت المرأة في ظل دولة الإسلام أسمى مكانة وأرقى دور في جميع المجالات الحياتية في المجتمع الإيراني. والفنون يرى العالم العربي بعضها من خلال الأفلام والمسلسلات التي بدأت تصل إلى المشاهد العربي رغم محاولات حذف الشبكات الإيرانية على الأقمار.

على أي حال أمتنا الإسلامية اليوم أمام امتحان كبير في وعيها كي تتحقق أهداف هذه الصحوّة الجديدة المباركة. والإسلام كفيل بضخّ هذا الوعي في جسد الأمة إن اتجهنا إليه حقيقة. وبالله التوفيق.

فرصة شهر رمضان المبارك دورة لتعميق الارتباط بالله وبالإسلام وبالأمة الإسلامية، ولتصعيد إرادتنا وثباتنا ومقاومتنا أمام ما يكاد بنا، ونأمل أن تتجه فضائياتنا في البلدان الإسلامية نحو هذا التعميق والتصعيد، وأن تكفّ عن الابتذال الذي كانت تمجّ به قبل عصر الربيع العربي والإسلامي في هذا الشهر المبارك.

شهر رمضان

تعينة وتوحيد وتقريب



هذا أول شهر رمضان يمر على ربيع هذه الأمة، ولذلك فإن له مكانة خاصة في تاريخ حياتنا الإسلامية. الربيع رمزٌ للحياة.. فالأرض في الربيع تهتز وتعود إليها الحياة والنمو والبهاء والجمال.. وحركة الأمة على طريق استعادة كرامتها وعزتها هي من صميم الحياة.

وشهر رمضان المبارك ربيع الأشهر، لأنه شهرا اقتراب الإنسان المسلم من مصدر عزته وكرامته وحياته: ﴿من أراد العزة فلله العزة جميعاً﴾، ولأنه دورة لتصعيد إرادة الأمة وتغلبها على أهوائها وشهواتها ومتطلباتها الهابطة.

ربيع في ربيع.. هو مرور صحوة الأمة هذا العام في شهر رمضان المبارك. الربيعان (ربيع الصحوة وربيع رمضان) يوفّر فرصة عظيمة لتعبئة الأمة على طريق استئناف مسيرتها الحضارية واستعادة مكانتها وهويتها ومقاومة عوامل الضعف والإنزال فيها.

إن «الفتور» الذي أصاب الأمة زمنًا قد تحوّل لحدٍّ ما إلى يقظة شعور ومطالبة بالكرامة.

ومن المؤكد أن هذه اليقظة ستكون مصحوبة بمخلفات النوم الطويل الذي مرّت به الأمة.

وفي فترة النوم عشعشت في أذهان بعض أبناء الأمة أفكار وهواجس لابدّ من التغلّب عليها.

من تلك اليأس من إمكان لحاق هذه الأمة بركب الحضارة الإنسانية..

ومن تلك الإيمان بتفوّق الإنسان الأوربي وتخلّف الإنسان المسلم والشرقي.

ومن تلك عدم إيمان بالالتزام بالإسلام في عالم يتغيّر بسرعة.

ومن تلك حتمية سيادة العولمة الأمريكية و...

وكثير من هذه الأفكار التي أفرزتها في بعض النفوس والأفكار عصور تخلفنا وركودنا واستسلامنا. لكن هذه الحالة لا يمكن أن تتواءم مع النهوض والمقاومة واستعادة الهوية والكرامة.

شهر رمضان المبارك يستطيع بكل ما يحمله من آداب وسنن وواجبات ومستحبات، وما يرافقه من مظاهر تسام على صعيد الأمة يستطيع أن يصعد المعنويات، ويزيل عوامل الضعف والخور والهزيمة النفسية، ويدفع بالصحوة خطوة رحبة على طريق التأسيس وتحقيق الأهداف.

إن هذا الشهر المبارك هو أيضًا شهر توحيد.. التوحيد بمعناه الحضاري الذي يعني زوال كل الآلهة المزيفة من طريق تكامل البشرية وهدايتها نحو الإله المطلق الحق سبحانه، وما يحمله هذا المفهوم من حركة نحو صفات الله من علم وحكمة ورحمة وقوة وقدرة وعزة وكرامة وانتقام من الجبارين.

وشهر رمضان قادر - إن وعينا أهدافه - أن يقضي على أفضع صنم أو طاغوت يحول دون الحركة التكاملية للبشرية، وهو طاغوت النفس.

فالنفس أو الأهواء بالتعبير القرآني: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أو الانشغال بالأهداف التافهة يحول دائماً دون التوجّه نحو الأهداف الكبرى.. ويجعل الإنسان يتهيّب صعود الجبال، ويعيش أبد الدهر بين الحُفَر. الانغماس في المتطلبات الهابطة وفي «فضول» العيش يجعل الإنسان ذليلاً خاضعاً لا يرى أمامه أيّ هدف كبير: لقد دقت ورتقت واسترقت

فضول العيش أعناق الرجال

طاغوت النفس هو الصنم الذي أكد المشروع الإسلامي على محاربتة وسماه «الجهاد الأكبر» وهو العقبة التي دعا العرفان الإسلامي إلى تجاوزها بالعشق، أي باستثارة روح الشوق نحو الأهداف السامية.

ومن الطريف أن حافظ الشيرازي أجاز إقامة صلاة الميّت على غير العاشقين، أي على الغارقين في ظلمات متطلبات غرائزهم الهابطة!!

شهر رمضان دورة ممارسة التغلب على النفس وتجاوزها تجاوز العاشقين نحو ربّ العالمين، دورة التغني بجمال الله في الأسحار عبر الأدعية والأذكار: «اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل، اللهم إني أسألك بجمالك كله».

في هذا الجوّ التعبوي التوحيدي التكاملي يتحقق التقريب بمعانية كلها... إذ هو جوّ إحياء، والحيّ أجزاءه مترابطة عضويًا، «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وهو جوّ الأهداف الكبيرة التي تتصاغر عندها الأهداف التافهة:

وتكبر في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظام

وهو جوّ توحيد لا يدع للغرائز والأهواء الهابطة أن تعيث في وحدة الأمة.

وهو جوّ الارتباط بالله الواحد الأحد الذي دعا الناس إلى التعارف أو التبادل المعرفي:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

ودعا العباد إلى أن يكونوا أمة واحدة:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

عوامل التمييز لا تتعدى أن تكون إما بسبب ضمور روح الحياة في الأمة أو بسبب ضياع المثل الأعلى الكبير، أو الانسياق وراء الغرائز الهابطة.. وشهر رمضان دورة هامة لمكافحة كل هذه العوامل المضادة.

ثم إن هذا الشهر يجعل المسلمين جميعًا يعيشون أجواء متشابهة وعواطف مشتركة وآمال موحدة.. وكل ذلك يوفّر فرصة تجاوز التجزئة وتمتين أو اصر الوحدة والتقريب. وعسى أن يتحقق ذلك في ربيع الصحوة وربيع رمضان أكثر من أي وقت مضى، وما ذلك على الله بعزيز.

المتقنون والبحث عن تصحيح الصورة

زكي الميلاذ*



• هناك نقد من جهة علاقة المثقف بالمجتمع ومن جهة علاقته بالمعرفة ومن جهة علاقته بالقيم ومن جهة علاقته بالسلطة

• إننا أمام أساليب متعددة لتصحيح صورة

المثقف • إن مفهوم المثقف بقي غريبًا رغم انتشاره الواسع، لأنه نقل إلى العربية من الثقافة الأوروبية • يرى علي حرب أن المثقف بات مسؤولاً بالدرجة الأولى عن طرح الأسئلة على نفسه، بعد كل ما حصل من تعثر أو فشل وإخفاق للشعارات والمشروعات

• مسكين هذا المثقف الذي نستضعفه، ونستقوي عليه ونمزقه شر تمزيق، ونقلته ألف مرة، ومن ثم نقول هذا دفاع عن المثقف

-١-

المثقف في صورة المثقف

من المفارقات اللافتة أن أشد نقد يتعرض إليه المثقف اليوم في المجال العربي، هو من المثقف نفسه، وهذا ما يدركه المثقف أكثر من غيره، إلى درجة يمكن القول أن ليس هناك مثقف، لا يضمّر نقدًا،

* - باحث ومفكر من المملكة العربية السعودية رئيس تحرير مجلة «الكلمة».

بل لم يعلن نقدًا صريحًا ومباشرًا للمثقف.

ونقد المثقف هو أكثر ما يتجلى في الكتابات العربية المعاصرة التي تحدثت عن المثقف وتطرقت إليه بشكل من الأشكال، فما إن تجد كتابًا يتحدث عن المثقف إلا ويستبق إلى الذهن نقد المثقف، وذلك نتيجة طغيان هذه النزعة الناقدة في هذه الكتابات.

ويكاد هذا النقد يمتد إلى كل ما يتصل به المثقف من علائق ووظائف وأبعاد، بحيث لا نجد هامشًا أو زاوية لم يصل إليها النقد، من المثقف نفسه قبل غيره، وكأن الأصل هو نقد المثقف في كل شيء، حتى بات هذا النقد أسهل شيء عند المثقف، من ناحية تصويره، والقيام به، والإشارة إليه، والتفنن في الحديث عنه.

ومن المجالات التي يمتد إليها النقد ويتركز عليها، منها المجال الاجتماعي، فهناك نقد من جهة علاقة المثقف بالمجتمع، وهي العلاقة التي طالما أسرفت الكتابات العربية في الحديث عنها، والإشارة إلى صورها وأشكالها، وكشفت عن قيمتها وضرورتها، ولم تهمل جانبًا إلا وأشارت إليه، ولكن من دون أن تحدث في هذه العلاقة أمرًا أو تغيير شيئًا. فليس هناك مثقف لم ينتقد المثقف من هذه الجهة، لأنها من أكثر الجهات نقدًا ووضوحًا للنقد، ومن أشد ما يعترض صورة المثقف ناظرًا له من ذاته، ومنظورًا إليه من المجتمع.

وفي المجال الفكري، هناك نقد للمثقف من جهة علاقته بالمعرفة، وهي العلاقة التي طالما كان المثقف شكّاكًا في النظر إليها، فليس معروفًا عن المثقف عند المثقف أنه شديد التعلق بالمعرفة،

والإخلاص لها، والتفاني من أجلها، والعشق في طلبها، والصبر والثبات في الدفاع عنها. ونادرًا ما تجد مثقفًا يقنع بمثقف من هذه الجهة، ونادرًا ما تجد مثقفًا يمتدح مثقف من هذه الجهة، وإذا حصل فإن المدح يكون باهتًا في أكثر الأحيان، ونادرًا ما تجد مثقفًا يعترف بالفضل لمثقف من هذه الجهة، وإذا حصل فإن الاعتراف يكون منقوصًا في أكثر الأحيان، ونادرًا ما تجد مثقفًا يقرأ لمثقف في العلن ويقصد طلب المعرفة، كل ذلك لأن المثقف ينتقص أو يتعمد الانتقاص في علاقة المثقف بالمعرفة.

وفي المجال الأخلاقي، هناك نقد للمثقف من جهة علاقته بالقيم، وهي العلاقة التي من أكثر ما تعرض صورة المثقف إلى الاهتزاز، ولعل من الصعب على مثقف أن يمتدح المثقف من هذه الجهة، لأنه أعرف بالمثقف من غيره، وأكثر دراية بباطنه وظاهره، فهو يعلم أن من السهولة على المثقف الانتفاع بثقافته، والمتاجرة بمعارفه، والمقاولة على أفكاره حسب تعبير الدكتور محمود عبد الفضيل أستاذ الاقتصاد السياسي بجامعة القاهرة، والذهاب مع الريح أينما ولت واتجهت تبحرًا عن الخراج.

وفي المجال السياسي، هناك نقد للمثقف من جهة علاقته بالسلطة، وهي العلاقة التي تضع المثقف على المحك، فهناك المثقف الذي هو سليل ما عرف في التراث الإسلامي بكاتب السلطان، وهي الصورة التي يسعد بها البعض، ويتوسل إليها البعض، ويفاخر بها البعض، طلبًا للجاه والمال والرفاه، إلى غير ذلك من ميادين ومجالات وأبعاد.

هذه هي صورة المثقف في خيال المثقف نفسه، يتحدث عنها وهو ينتمي إليها، وهي الصورة التي لا يفارقها ولا تفارقه، وتفعل فعلها في عقله الباطن والظاهر، تسيء إليه ويعلم أنها تسيء، تنتقص منه ويعلم أنها تنتقص!

فماذا يريد المثقف من هذا النقد الذي يعلم أنه يرتد عليه؟ فهل يتعمد المثقف أن يسيء إلى صورته بنفسه من حيث يعلم أو لا يعلم؟

أم أنه يريد أن يحيي صورته بهذا النقد الصارم؟ وهل حسن صورته فعلاً؟

أم أنه تعبير عن غضبه، ونقمة على ذاته، واستنطاق لشعوره بالإحباط أو الاكتئاب أو انسداد الألق؟ أم أنه غير ذلك؟ والمثقف هو من يعلم ذلك.

-٢-

صورة المثقف عند إدوارد سعيد

مع ما تعرّضت إليه صورة المثقف في المجال العربي من اهتزاز وتشوه وتراجع، ظهرت بعض المحاولات الفكرية والنقدية التي حاولت تصحيح هذه الصورة، وقلبتها إلى صورة أخرى بديلة، ودفع المثقف إلى تقمص هذه الصورة البديلة وتمثلها، والتعبير والدفاع عنها، والعمل على تعميمها، لكي يستعيد المثقف عافيته المفقودة، وثقته المنقوصة، ومهمته المهجورة.

وقد تعددت هذه المحاولات وصفًا وصفة، وتباينت فيها وجهات النظر واتجاهات التفكير، وذلك بحسب تكوينات الفهم لطبيعة أزمة المثقف ومحتنه النظرية والعملية، الفكرية والاجتماعية، الذاتية والموضوعية.

ويكشف هذا التعدد في هذه المحاولات عن التعقيد الذي يحيط بهذه الأزمة، وأنها أزمة مركبة تتعدد في داخلها الأبعاد وتختلف، فلا ينبغي النظر إليها من زاوية أحادية أو بطريقة أحادية.

وهذا يعني أننا أمام صور متعددة لتصحيح صورة المثقف، ولسنا أمام صورة واحدة لها صفة التوافق والثبات والإجماع، ولعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل الوصول إلى صورة إجماعية واحدة متحدة، لأن المثقف ميال بطبعه إلى الجدل، ونزاع إلى التعدد والاختلاف، وعصي على التقولب والاندماج، وليس هناك ضرورة أساسًا لمثل هذه الصورة الإجماعية الواحدة المتحدة.

ومن هذه المحاولات في المجال العربي، ومن أبرزها وألمعها محاولة الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد في كتابه *صور المثقف* الصادر في طبعته الإنجليزية سنة ١٩٩٤م، وفي طبعته العربية سنة ١٩٩٦م، وهو في الأصل محاضرات مقدمة سنة ١٩٩٣م لبرنامج محاضرات ريث الذي يقام سنويًا في لندن بإشراف هيئة الإذاعة البريطانية، وتناوب على تقديمه فلاسفة ومفكرون بارزون في الغرب، منذ أن افتتحه الفيلسوف البريطاني المعروف براتراند رسل سنة ١٩٤٨م، ويُعدّ إدوارد سعيد أول مفكر عربي يدعى لهذا البرنامج.

في هذا الكتاب قدم إدوارد سعيد مناقشة نقدية ثرية كعادته في مؤلفاته، تتبع فيها أبرز الكتابات والأعمال الفكرية والنقدية المؤثرة التي ناقشت مفهوم المثقف وصوره وتمثلاته الفعلية على اختلاف وجهات نظرها ومنظوراتها، نقدًا أو دفاعًا أو تشكيكًا، ومركزًا بصورة أساسية على كتابات المفكرين الغربيين، ابتداء من الفرنسي جوليان بندا صاحب كتاب *خيانة المثقفين* الصادر سنة ١٩٢٧م، الذي قدّم فيه تهجمًا لاذعًا للمثقفين الذين يتخلون عن رسالتهم، ويعرضون مبادئهم للشبهة، وتوقفًا مع المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي وكتابه *دفاتر السجن*، وصاحب مفهوم المثقف العضوي، مرورًا بشريحة ممن ينتمون إلى العقود الأخيرة من القرن العشرين.

وقد ظل إدوارد سعيد يقلّب وجهات النظر في كتابات هؤلاء عن صور المثقف وتمثلاته، بحثًا عن الصورة التي يؤمن بها، وتتجلى فيها حسب رأيه صورة المثقف الحقيقي، منطلقًا من خلفية يعبر عنها بقوله إن ثمة خطرًا ناجمًا عن احتمال اختفاء وجه المثقف أو صورته في خضم بحر من التفاصيل، واحتمال تحول المثقف إلى مجرد مهني آخر، أو أحد الوجوه في تيار اجتماعي ما.

ونقدًا لهذه الصورة، وتشكيكًا فيها، وتفكيكًا لها، حاول سعيد التمسك بصورة مغايرة للمثقف، والإصرار على التمسك بهذه الصورة، والدفاع عنها بكل بلاغة أخلاقية، وتحدد هذه الصورة في اعتبار أن المثقف هو فرد له في المجتمع دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهني لا وجه له، أو عضو كفوء في طبقة ما لا

يهتم إلا بأداء عمله، فالحقيقة المركزية كما يعتقد سعيده أن المثقف وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، أو وجهة نظر، أو موقف أو فلسفة أو تجسيد أي من هذه، أو تبيانها بألفاظ واضحة لجمهورها. ويرى سعيده أن هذا دوره محاذيره، ولا يمكن القيام به في نظره من دون شعور المرء بأنه إنسان مهمته أن يطرح علناً للمناقشة أسئلة حرجة، ويكون شخصاً ليس من السهل على الحكومات أو الشركات استيعابه، وأن يكون مبرر وجوده تمثيل كل تلك الفئات من الناس والقضايا التي لا تنسى ويغفل أمرها على نحو روتيني.

هذه هي صورة المثقف التي حاول سعيده الدفاع عنها مع نهاية القرن العشرين، تمييزاً وتأكيداً للرؤية جوليان بندا وغرامشي في بداية القرن العشرين.

- ٣ -

صورة المثقف عند محمد عابد الجابري

حين توقف الدكتور محمد عابد الجابري أمام مفهوم المثقف في كتابه *المثقفون في الحضارة العربية*. محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد الصادر سنة ١٩٩٥م، وجد أنه أمام مفهوم ضبابي في الخطاب العربي المعاصر، على رغم رواجه الواسع، فهو لا يشير في نظره إلى شيء محدد، ولا يحيل إلى نموذج معين، ولا يرتبط بمرجعية واضحة في الثقافة العربية الماضية والحاضرة.

وعلى هذا الأساس، اعتبر الدكتور الجابري أن مشكلة مفهوم المثقف في النطاق العربي لها علاقة بمسألة المرجعية الثقافية، وهي المسألة التي اتخذ منها الجابري منطلقاً وإطاراً في معالجة مفهوم المثقف، حيث افتتح كتابه السالف الذكر بمقدمة عنوانها «المثقفون العرب ومسألة المرجعية».

وبهذا يكون الجابري قد أضاف مدخلاً مهماً وجديراً بالنظر في تحليل مشكلة مفهوم المثقف في نطاق الثقافة العربية، إلى جانب المداخل الأخرى التي جرى ويجري الحديث عنها في الكتابات العربية المعاصرة.

ولتأكيد رؤيته استند الجابري إلى ثلاث ظواهر، كشفت له انفصال مفهوم المثقف عند المثقفين عن مسألة المرجعية، هذه الظواهر هي:

أولاً: إن مفهوم المثقف بقي غريباً رغم انتشاره الواسع، لأنه نقل إلى العربية من الثقافة الأوروبية، ولم تتم تبيئته بالصورة التي تمنحه مرجعية محددة في فضاءنا الثقافي، فالذين يستعملونه عن علم وهم قلة في نظر الجابري، ينشدون إلى مرجعيته الأوروبية، ويعطونه معنى من هناك في خطابهم العربي، وهو معنى غريب عن الفضاء الثقافي العربي لكونه يرتبط بظروف تاريخية تقع خارج التاريخ العربي.

ثانياً: يرى الجابري أن أغلب المثقفين يستعملون مفهوم المثقف عن غير علم، والغالب على هؤلاء أن ما يتصورونه من هذا المفهوم لا يتجاوز حروف (ث. ق. ف)، بمعنى أن الصورة الكتابية والصوتية

لكلمة مثقف هي الشيء الوحيد الملموس الذي يرتبطون به عند استعمالهم هذا اللفظ.

ثالثاً: هناك قطاع من المثقفين العرب في نظر الجابري لا يستعملون مفهوم المثقف البتة لكونه لا يرتبط بمرجعيتهم الثقافية، وهو بالنسبة إليهم بضاعة أجنبية، ويقصد الجابري بهؤلاء أساتذة وخريجي المعاهد التي تحتل الدراسات التراثية فيها المقام الأول، والتي تطلق على أعضائها أسماء تراثية ذات مرجعية في الثقافة العربية الإسلامية مثل (الشيخ، الفقيه، العالم).

ونتيجة لهذا الوضع، يعتقد الجابري أن الإنسان العربي الذي بقي يوصف بأنه مثقف ويتحدث عنه بوصفه كذلك، لا يتعرف إلى نفسه بوضوح، لا يعرف لماذا يوصف بهذا الوصف، ولا يدري هل يقبله أو لا يقبله.

وعند النظر في هذا الموقف، يمكن القول أنه جاء متأخراً في ساحة المثقفين، وتنبه إليه الجابري أيضاً متأخراً، ولكن أهميته تكمن أنه جاء من الجابري نفسه.

ويفتح هذا الموقف أسئلة متشعبة وملحة ستظل تطرق ذهن كل مثقف من داخله أو من خارجه، منها سؤال العلاقة مع الهوية، والعلاقة مع الدين، والعلاقة مع التراث، والعلاقة مع التاريخ، والعلاقة مع الأمة وهي الأسئلة المكونة لمسألة المرجعية.

وما لم يذكره الجابري وهو يعلم به قطعاً، أن هناك شريحة غير قليلة من المثقفين تعلم علم اليقين أن مفهوم المثقف لا يرتبط بصلة مع المرجعية الثقافية العربية والإسلامية، ولا تريد أساساً هذه

الرابطة، ولا تسعى إليها، بل وتتعمد القطع والقطيعة معها، ولا ترى في ذلك منقصة أو مثلبة، كما لا ترى ما يراه الجابري نفسه من غربة أو ضبابية أو عدم دراية لمفهوم المثقف، أو أنه لا يتعرف على نفسه بهذا الوصف.

ولا يخفي هؤلاء ارتباط مفهوم المثقف بمرجعياته الأوروبية، بل يشهرون ذلك علناً وصراحة، منطلقين من خلفية أن مفهوم المثقف ينتمي إلى عالم الحداثة ولا ينتمي إلى سواه، ويرتبط بالمعرفة الحديثة ولا يرتبط بسواها، ويعيش مع المدنية ولا يعيش بسواها، وهذا ما يتحدد بنظر هؤلاء في المرجعية الأوروبية ولا يتحدد بسواها.

ولا شك أن هذا الموقف لا يخلو من سحر وافتتان ومبالغة، وكان على هذا الموقف يوماً ولفترة طويلة الدكتور زكي نجيب محمود وانقلب عليه فيما بعد، وشرح ذلك ببلاغة كبيرة في مقدمة كتابه *تجديد الفكر العربي* الصادر سنة ١٩٨١م، إلى جانب آخرين أيضاً.

مع ذلك يمكن القول إن هناك قدرًا من المبالغة وقع فيها الجابري نفسه، حين صوّر أن الغالب على المثقفين أنهم لا يعلمون من مفهوم المثقف إلا تلك الحروف المتقطعة لكلمة مثقف، ولا أظن أن المسألة في إدراك المثقفين أو الكثيرين منهم بهذا المستوى من التصوير أو التبسيط.

-٤-

صورة المثقف عند علي حرب

من الممكن القول أن أشد نقد تعرّض له المثقف في المجال

العربي، هو النقد الذي سطره المفكر اللبناني علي حرب في كتابه: *أوهام النخبة أو نقد المثقف الصادر سنة ١٩٩٦م*، وأثار به حفيظة شريحة من المثقفين، وانفعل البعض منه غضبًا، وفتح جدلاً وسجالاً حادًا وقاسيًا في وقته، يعادل حدية وقسوة النقد الذي فتحه الكتاب. فهناك من وجد في هذا النقد إعلانًا لهزيمة المثقف، وهناك من وجد فيه إعلانًا لموت المثقف أو لنهاية المثقف، وهناك من وجد فيه نقدًا جذريًا غير مسبوق للمثقف، إلى جانب من وجد فيه أنه الأكثر إثارة للنقاش حول وضعية المثقف، أو أنه محاولة للبحث عن دور فعال للمثقف، أو أنه محاولة لخلق واقع فكري جديد.

ومن جهته لا ينفى علي حرب شدة النقد وقسوته الذي فتحه على المثقف، وأعلن ذلك بنفسه صراحة وبوضوح كبير، في مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب الصادرة سنة ١٩٩٨م، بقوله أعترف بأنني فتحت النار على المثقف بقدر ما أقدمت على فتح ملف المثقفين أمام النقد والمساءلة، وذلك في محاولة منه لتغيير وجهة النقد، من وجهته التي تركز على ما هو خارج المثقف، إلى وجهته التي تركز على ما هو داخل المثقف، أي على المثقف نفسه فكرًا وممارسة، خطابًا ومؤسسة.

وبمعنى من المعاني أن حرب أراد هذه المرة من المثقف أن يكون متهمًا ويضعه في قفص الاتهام، وليس قاضيًا أو مرافعًا كما يضع نفسه دائمًا، ولا يرى نفسه في غير هذا الموقف، الذي تغير هذه المرة. وأراد منه أن يكون مُحانسبًا ومُساءلاً وتعدد أمامه وفي محضره قائمة الأخطاء والعثرات، لأن يكون كعادته وكما يحلوه له محاسب

ومسائل لغيره، على تعدد هذا الغير وتنوعه فردًا ومجتمعًا، سلطة ودولة، أمة وحضارة.

وأراد منه أن يكون ناظرًا إلى ذاته، وإلى عدّته الفكرية وخطابه ودوره وعلائقه، لأن يكون ناظرًا لغيره، متستترًا على ذاته وكاشفًا عيب غيره، منزهاً لذاته منقصًا لغيره، يرى الحاجة دائمًا إلى إصلاح غيره، ولا يرى الحاجة إلى إصلاح ذاته، يسمع صوته للغير ولا يسمع لذاته، ويتخيل نفسه في صورة متعالية دائمًا، وكأنه القابض على الحقيقة، والمبشر بالعدالة، والممثل للحدثة، ولا يميز التنوير إلا على يديه. في حين يرى حرب أن المثقف بات مسؤولاً بالدرجة الأولى عن طرح الأسئلة على نفسه، بعد كل ما حصل من تعثر أو فشل وإخفاق للشعارات والمشروعات، وبعد ما مورس من الاستبداد والتفاوت، والحجب باسم الحرية والعدالة والحقيقة.

ولا يعقل في نظر حرب أن يستمر المثقف في تقديم نفسه بوصفه يمثل النخبة الواعية والمستنيرة أو المتقدمة، ممارسًا وصايته على القيم والحقوق والحريات، في حين أنه أصبح الأقل فاعلية وحضورًا على المسرح، قياسًا على بقية الفاعلية الاجتماعيين كرجال الإعلام والأعمال، أو كمهندسي الحواسيب، ومصممي الأزياء، أو كلاعب الكرة ونجوم الطرب، وأخيرًا لا مهرب من إجراء فحص نقدي يطال شبكة المفاهيم التي يقرأ من خلالها المثقف الأحداث من حوله، وبالتالي عليه أن يعمل على تغيير صورته عن نفسه، بحيث يعيد ابتكاره لدوره، حتى لا يعيد العقم والهشاشة أو الهامشية.

صورة المثقف عند عبدالإله بلقزيز

لعل كتاب الدكتور عبدالإله بلقزيز نهاية الداعية.. الممكن والممتنع في أدوار المثقفين الصادر سنة ٢٠٠٠م، هو الأكثر تشبهاً وتناغمًا مع كتاب علي حرب أوهام النخبة أو نقد المثقف، وكنت أظن أنني لن أجد كتابًا في المجال العربي، يمكن أن يتناغم مع رؤية علي حرب الذي اعترف أنه فتح النار على المثقف، وبالغ وأسرف في نقده، وظل يلاحقه بأوصاف الفشل والعجز والإخفاق، وأعلن هزيمته ونهايته، ومبشرًا بنمط المثقف المفكر الذي يشتغل بعالم الأفكار، وبهذا العالم يتحدد دوره في نظره.

ويصنف كتاب بلقزيز على نسق الكتابات التي حاولت نقد المثقف لتغيير رؤية المثقف إلى ذاته ودوره، ولتصحيح صورته. النقد الذي جاء مكثفًا في الكتاب، وممتدًا من بدايته إلى نهايته، وبدون توقف أو سكون، وناظرًا إلى علائق المثقف بالمعرفة والمجتمع والسلطة، وبدرجة ما هو أقل قسوة وعنفاً من كتاب علي حرب نقد المثقف، الكتاب الذي لا يكاد يفوقه ويتقدم عليه كتاب آخر في قسوته وعنفه.

وكان من اللافت حصول هذا المستوى من التناغم والاشتراك في الرؤية والأطروحة بين الكتابين، والذي يتحدد من حيث وجهته العامة في أمرين، الأمر الأول ويتصل بنقد ما أسماه علي حرب بأوهام النخبة، أو ما أسماه بلقزيز بنهاية الداعية. الأمر الثاني ويتصل بتحديد مجال ودور المثقف، على أن لا يتعدى حدود الفكر والمعرفة.

واللافت في الأمر، أن حرب يرى في هذا النقد القاسي دفاعًا عن المثقف، عند من يعرف معنى النقد والكلام، لا عند من تسيطر عليه هواجسه النضالية، أو عند من يستغرق في تهويماته الأيديولوجية، وهو سعي في نظره لاستعادة المثقف سلطته بممارسته لفاعليته الفكرية، وذلك عبر إعادة صوغه لمفهومه عن السلطة، أو عبر إعادة ابتكاره لدوره.

وما يريد أن ينتهي إليه حرب في رؤيته لتصحيح صورة المثقف، هو القول بفشل وانتهاء المثقف المناضل أو التقدمي، والدعوة لولادة المثقف المفكر الذي ينهض بمهمة إنتاج الأفكار وبناء المفاهيم، وهي المهمة التي يستطيع المثقف النهوض بها دون غيرها حسب رؤية حرب، ولهذا فهو يعلي من دور المفكر الذي يعمل على جبهة الممتنع في نطاق الفكر، على دور المثقف الذي يعمل على جبهة الممنوع في نطاق الواقع.

ومن الواضح أن هذه الرؤية تتفارق كليًا وتتعارض مع الرؤية التي دافع عنها بشدة إدوارد سعيد في كتابه صور المثقف، بدافعه عن الوجه الأخلاقي للمثقف الشجاع والمستقل، وهو المفكر والأديب والأكاديمي، ولم يكن رجل سياسة، أو زعيمًا حربيًا، أو بوصفه منخرطًا في النضال اليومي، أو قائدًا عماليًا أو نقابيًا أو غير ذلك.

وإذا كنا نتفق مع حرب في حاجة المثقف إلى النقد الذاتي، وأن يكون موضوعًا للنقد، فإن من الصعب الاتفاق معه في كامل رؤيته، وأكثر ما يجعل رؤية حرب موضع نقد وشك هو حال المجتمعات العربية الراهنة!

وبشأن الأمر الأول، يرى بلقزيز أن مع هذا التحول المثير في مكانة المثقف العربي الحديث ووظيفته، ما زال يتقصر دور الداعية، ويسند لنفسه أدوارًا تتخطى قدرته الفعلية على الأداء والإنجاز، وما زال أسير صورته عن نفسه التي رسمتها له ظروف لم تعد موجودة، إنه الوهم في نظره يملك عليه الوعي، ويدفعه إلى تقمص شكل من أشكال التعويض النفسي، مكابرة لفظية ضد الاعتراف بالهزيمة، هزيمة صورة ودور.

وقد ظل بلقزيز يُنبّه لهذا الموقف، ويذكر به، ويرجع إليه، في دلالة على تمسكه بهذا الموقف، وحرصه على إلفات النظر إليه، وبه ختم كتابه حيث يقول في الأسطر الأخيرة: بات على مثقف اليوم أن يعيد تعريف دوره من النقطة التي يقف عليها، وأن يتخلى عن أحلامه الإمبراطورية في أن يكون نبيًا جديدًا يحمل رسالة للعالمين، وفي أن يكون قائدًا تاريخيًا يهدي الشعب والأمة إلى مستقبل مفروش بالورود، وفي أن يكون زعيمًا سياسيًا تنقاد لرأيه الجموع، وباختصار حسب قوله في أن يكون ما ليس ممكنًا له أن يكون.

وبشأن الأمر الثاني، الذي يحدّد دور المثقف بحدود الفكر والمعرفة، يرى بلقزيز في نهاية مقدمة كتابه أن آن للداعية أن يصمت، وأن ينسحب من المشهد بهدوء، كي يفسح فرصة للمثقف الباحث كي يزود ثقافته بمساهمة هي في عوز إليها، أن له أن يحترم دوره، وأن لا يتعدى حدود المعرفة، فلا يظلم نفسه.

وحين يريد بلقزيز أن يعرّف المثقف فإنه يعرّفه من جهة علاقته بالمعرفة، وحسب قوله إننا نعرف المثقف بوصفه منتجًا للمعرفة،

ويعتقد أن وظيفة إنتاج المعرفة هي وظيفته الأصل، وما عداها هو في عداد ما يضيفه إلى حرفته.

وكما اعتبر علي حرب من قبل أن نقده القاسي للمثقف هو دفاع عنه، كذلك اعتبر بلقزيز أن كتابه ليس هجومًا على المثقف كما قد يظن، بل هو دفاع صادق عنه ضد الداعية أو بقايا الداعية فيه.

وهذا هو الغريب في الأمر، أن يجري التعامل مع المثقف بهذه الطريقة من النقد التي تطيح به، ولا تبقي له من باقية، وتعلن هزيمته، وتبشر نهايته، ومن ثم نشهر القول بأن هذا دفاع عن المثقف، وهل بقي منه شيء للدفاع عنه!

وهل يحتاج المثقف إلى كل هذا النقد الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، حتى ينتبه إلى ذاته، ويتعرف على نفسه، ويجدّ صورته، ويعيد النظر في دوره ومهمته!

وهل سيفكر المثقف بدور بعد كل هذا النقد؟ أم أنه سيتأسف على نفسه لكونه في عداد هؤلاء الذين يحملون هذا الوصف، أو هذه التسمية، ويمكن أن يتبرأ من هذا الوصف، ويتخلى عنه، ويصمّ أذنيه عند التناول به والحديث عنه، ويمكن أن يلعن حتى الحروف الذي تتكون منه. مسكين هذا المثقف الذي نستضعفه، ونستقوي عليه ونمزقه شرتمزيق، ونقتله ألف مرة، ومن ثم نقول هذا دفاع عن المثقف، ولا أظن أن المثقف يريد أن يقبل هذا الدفاع!

الوحدة الإسلامية والابتلاء

بالجمود الفكري والتطرف الديني

عفاف الحكيم*

• أطلق الشهيد مطهري مصطلح التحجر بمعنى الجمود وانعدام المرونة والليونة • أزمة التطرف أزمة حقيقية مروّعة.. بل هي أخطر ما واجهته الأمة من أزمت • إن ذهنية الجمود والتعصب والتطرف خرجت من كل استفادة منكفئة على ذاتها منعزلة عن العالم الخارجي • فإن السلاح الأقوى في تمزيق الأمة وتفثيت مقومات الوحدة فيها - بات اليوم - التعصب والغلو المطلق والأعمى الذي بات يتمظهر بأشكال مختلفة • لقد باتت مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الأمة أمام أعدائها أمل من الآمال التي يتطلع إليها جميع المخلصين في الأمة على امتداد ساحاتها.

- قال تعالى في سورة المؤمنون وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ آية ٥٢

وحدة الأمة هي لاشك من أهم الموضوعات التي نواجهها في عصرنا الحاضر، فعالمننا الإسلامي يمر بمرحلة تاريخية محفوفة

* - رئيسة جمعية الرابطة اللبنانية الثقافية.

بالمخاطر الحقيقية إضافة إلى سيل ضخم من التحديات على مختلف الصعد.

وإنه في هذا الظرف التاريخي الدقيق والحساس وحيث اليد الآتمة للصهيونية وحلفائها على امتداد العالم بلغت من التآمر على كيان الأمة ووحدتها ومقدساتها وقضاياها حدًا كبيرًا فاق كل تصور، فإن الواجب الشرعي والمسؤولية التاريخية تملي على القيميين من علمائنا الأجلء وكل الواعين من أبناء الأمة إيجاد حالة من النهوض والقيام لله من أجل إحباط أهداف الأعداء وتشكيل خط دفاع متماسك صلب يشد بعضه بعضًا.. وتتكسر عليه كل المخططات والمكائد..

فموضوع الوحدة الإسلامية اليوم - بلاشك - هو من أهم مستلزمات الوقوف في وجه هذا الصراع باعتباره الأرضية والقاعدة التي تقوم عليها جميع المستلزمات الأخرى وهذا الموضوع يزداد أهمية عندما ننظر إلى الظروف العالمية وطبيعة الصراع القائم على المستوى الحضاري..

وإنه رغم عملية الإجتثاث الكبيرة والتشويه المريع الذي تعرّض له جسد الأمة جغرافيًا وسياسيًا وإقتصاديًا.. وحيث أفلح الاستعمار في تمزيق عالمنا الإسلامي تمزيقًا لم يسمع بمثله.. فبعد ان كانت أمتنا أمة واحدة ودولة واحدة وشعب واحد.. تم تقسيمها إلى أكثر من خمسين دولة صغيرة متناحرة متضادة تقطعها وتقسّمها الحواجز والحدود..

وإنه رغم ما يظهر من قتامة التمزيق وفعاليته في الإجهاز على الوحدة الإسلامية وعلى مشروع إحيائها واستعادتها، فإن خطره وضرره ربما لا يصل إلى نفس مستوى الضرر الذي أحدثه ابتلاء الأمة بآفتي الجمود والتطرف.. لأن هذا اللون المدمر الفتاك أمتد إلى تمزيق الروح وقصف الفكر وتغيير الوجدان وتشويه معالمه، وهذا لا شك هو الأعظم أثرًا والأقوى خطرًا من أي تمزيق آخر..

الشهيد مطهري (رض) أجمل خصائص تيار الجمود والتطرف وملامحه في نقاط مبيّنة خطيرة هذه الظواهر التي أفقدت أصحابها نور البصيرة ونعمة التفكير والتقدير السليم لأولويات الإسلام ومنها : الركود الفكري وتعطيل العقل مما أوقعهم في مهاوي التخبط والتقليد الأعمى لسير الماضين وطرق تفكيرهم وأساليبهم.

ضعف الأسس والمرتكزات العقائدية.

النظرة السطحية (الضحالة الفكرية).

التقديس الأجوف الزائف.

ضيق الأفق والنظر.

الجهل واعوجاج الفهم.

الرجعية وعبادة القديم.

الرياء وخداع العوام

مظاهر التطرف :

في العديد من الآيات الكريمة خاطب الله تبارك وتعالى سائر

الناس مشددًا على ضرورة أن يسيروا وينظروا ويتفكروا في خلق السموات والأرض بهدف تحقيق الاستفادة من الالتفات إلى قوانين الكون وسنن الحياة. وإلى عظمة التنوع والتعدد والاختلاف والتناسق الموجود من حولهم في كل شيء سواء في عالم السموات والأرض أو عالم الحيوان والنبات والإنسان..

غير أن ذهنية الجمود والتعصب والتطرف خرجت من كل استفادة منقذة على ذاتها منعزلة عن العالم الخارجي وغير قادرة على قراءته لضيق النظر، فهم لا يرون عالم الآخرين وأفكارهم ويرفضون الاعتراف بحقهم في الحوار..

وإنه بجمودهم ونظرتهم هذه حملوا الإسلام ما ليس فيه، وشوّها صورته وزيفوا حقيقته وذلك بسبب قلة الفهم والعلم والإخلاص فيهم، وإن من أبرز مظاهرهم :

عدم الإقرار بمبدأ التعدد والتنوع في الرأي إضافة إلى انغلاق الفرد وجموده على فهمه جمودًا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الأمة وقضاياها..

الميل إلى التشديد والتضييق والتزمت مع الغلظة في التعامل والخشونة في الأسلوب والفظاظة وسرعة الغضب مع التحرك كدعاة بخلاف الهدي الإلهي: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النمل ١٢٥

التعصب والتصلب وفرض الرأي بدون مراعاة لسنة الاختلاف الفكري والنفسي والروحي لدى الناس، فهم يكفرون كل من عرّضوا

عليه فكرهم فلم يقبله، مع أن تكفير المسلم أمر خطير.. وهذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد وسائر الأمة في واد آخر..

ومن مظاهر التطرف الرغبة بالهدم لا بالبناء وسوء الظن بالآخرين والنظر إليهم من منظار أسود قاتم يخفي كل حسنة ويضخم كل سيئة، ولو رجعوا إلى القرآن والسنة لوجدوا فيهما ما يغرس في نفس المسلم حسن الظن بسائر عباد الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

الحجرات ١٢

الجمود على النصوص الدينية وعدم مراعاة أحوال الزمان والمكان إضافة إلى الغرور والإزدراء بالغير والاعتقاد بأنهم أفضل ذاتاً وعملاً من الآخرين وبأنهم ملكوا مع مفاتيح الجنة الحقيقة المطلقة والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم ٣٢ من هنا فإن السلاح الأقوى في تمزيق الأمة وتفنيت مقومات الوحدة فيها - بات اليوم - التعصب والغلو المطلق والأعمى الذي بات يتمظهر بأشكال مختلفة.

فبهذا التعصب المقيت الذي يتبث فيه هؤلاء أنفسهم . بحيث لا يعترفون معه للآخرين بوجود، يصبح من المستحيل معه التلاقي بأحد لأن التلاقي إنما يكون في منتصف الطريق ووسطه، وهؤلاء لا يعرفون الوسط ولا يعترفون به.

ويبقى الأشد خطورة فرض الرأي على الآخرين بالقوة، والقوة هنا قد تجرح وتفتك معنوياً بما هو أشد تهديداً من الإرهاب الحسي،

لأنها قد تكون اتهاماً بالابتداع والكفر أو الاستهتار والمعصية أو ما شاء لهم سوء الظن..

لقد زين لهم سوء عملهم فأروه حسناً، وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا..

بالالتفات إلى التاريخ الإسلامي نجد أن جماعة كهؤلاء كانوا في عصر النبي (ص) وكانوا أكثر الناس إيلاً للقلب النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد بينا ما وقع فيه الخوارج الذين كانوا من أشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية صيماً وقياماً وتلاوةً للقرآن وحيث ورد عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال: «قصم ظهري اثنان عالم فاسق وجاهل متنسك» وقال (ع) أيضاً: «هلك في اثنان محبّ غال ومفرط قال» وقد حدّث النبي (ص) محدّراً وملفتاً في العديد من الأحاديث الشريفة حول ذهنية التطرف والجمود والانغلاق مبيّناً مبلغ الخطورة وأهمية التنبيه بقوله (ص): «كلما قطع منهم قرن نشأ قرن ثم يخرج في بقيتهم الدجال».

التطرف الديني والتحذير من فتن آخر الزمان

لقد اتفق أكثر الفقهاء المسلمين على تحريم التطرف والغلو بجميع صوره وأنواعه، وبيّنوا ذلك عبر أساليب مختلفة، تارة بالنهي عن ذلك وتارة بالتحذير من مشابهة الكفار في الغلو وتارة ببيان أن الغلو سبب للهلاك قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا
عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿المائدة ٧٧﴾

وقال رسول الله (ص): «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه
أهلك من كان قبلكم يغلو في الدين»

باللتفات إلى النصوص الشريفة التي جاءت عن النبي (ص)
وخصوصًا في آخر حياته الشريفة، نجد أنه كان يكثر التحذير من
الفتن التي ستحدث من بعده حتى أنه كان يؤكد المكان الذي
ستجري فيه فتنة معينة أو صفات الأشخاص الذين سيشتعلون
الفتن.

وإن من تلك الفتن التي حذر منها النبي (ص) فتنة التطرف في
الدين التي تعيش الأمة تداعياتها اليوم.

وعليه كان لا بد من إلقاء الضوء على تلك الفتن من خلال ما ورد
عنه (ص) «إن أقوامًا يتعمقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم
من الرمية» وفي اللغة العربية التعمق هو المبالغة في الأمر وطلب
أقصى غايته.

وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع): «لا تعمق في الوضوء» أي لا
مبالغة بإيصال الماء زيادة إلى الإسباغ المطلوب.. فيستفاد من هذه
المعاني ان التعمق المنهي عنه في الحديث الشريف هو الإفراط
والمبالغة والتشدد والتطرف في الدين .

فالإسلام هو دين الوسطية كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا﴾ البقرة ١٤٣.

وهو يدعو إلى الاعتدال وعدم الإفراط والتفريط في أي شيء ولنا
أن نلمس هذه الحقيقة في التعاليم الإسلامية الواردة في كافة
المجالات العبادية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أسباب التطرف :

لا ريب إن من الأسباب الأساسية لهذا التطرف والغلو هو ضعف
البصيرة وقلة الفهم والمعرفة بحقيقة الدين..

من هنا كان لا بد من التصدي لمعالجة هذه الظاهرة من خلال
دراسة أسبابها الفكرية ووضع الأسس الشرعية لتربية وإعداد جيل
إسلامي جديد على مستوى الجامعات والحوزات والمعاهد
والمجتمع ككل ليكون هو البديل الذي يحمل الإسلام بإشراقة
ونقائه إلى العالم..

يبقى إنه لا بد من دراسة شاملة لكافة الأسباب الأخرى المختلفة
والتي منها ما هو ديني ومنها ما هو سياسي ومنها ما هو اجتماعي
واقتصادي أو نفسي أو هو خليط من هذا كله...

التطرف والإعلام الغربي:

لقد جسّم الإعلام الغربي والمرتبطين به قضية التطرف، وسعت
أبواقه في حملتها تشويه الإسلام وجعل صفة التطرف صفة ملازمة
للمسلمين بل للإسلام، حيث تمّ وصف الكثير من الحركات الجهادية

المقاومة للإحتلال على أرضها والمطالبة بحقوقها والمعتز بها رسمياً وعالمياً بالتطرف.. إذ ليس تطرفاً عندهم أن يتعصب اليهود ضد جميع أديان الأرض وشعوبها وأن يقتلوا الآمنين في فلسطين ولبنان وسائر الأراضي المحتلة وأن يرتكبوا من الجرائم ما ينوء بتفاصيله الإعلام العالمي مجتمعاً..

غير أن الإعلام الغربي والصهيوني وجد في ظاهرة التطرف فرصته السانحة من أجل الكيد وشحن الحقد ضد المسلمين، فاجتهد في مضاعفة الإشكالية بمختلف الوسائل والأساليب الخسيصة عاملاً بصورة متواصلة التركيز على نقاط الخلاف وإبراز معالم التناقض والفرقة وزرع النزاع بين أفراد المجتمع الواحد. حتى باتت ثقافة الفتنة تظالعا في كل مكان في المجتمع بدءاً بالإعلام المرئي والمسموع والمقروء وانتهاءً بالمدارس وهذا من أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمة..

كيف نواجه التطرف :

لمواجهة حالة التطرف التي حذر منها رسول الله (ص) والتي باتت مع الشحن الشيطاني والنفخ الحقود لقوى الاستكبار والصهيونية تجتاح مجتمعات المسلمين، لا بد لنا من أمور:
أ) نشر الثقافة الإسلامية التي تدعو إلى التراحم والتسامح والمحبة وللإخاء والتعايش والإخاء والعمل على مواجهة ثقافة الفتنة والتطرف عبر إجراء تحليل معمق لظاهرة التطرف والإرهاب

وتمهيداً لاقتراح سياسات ثقافية فعالة قادرة على مواجهة هذه الظواهر على المدى الطويل، ثقافة التطرف لا بد من مواجهتها بثقافة التوحيد، ثقافة عدم التفرق والاعتصام بحبل الله..

ب) تربية الشباب على الانفتاح واحترام الرأي الآخر، واعتماد مبدأ الحوار على كافة المستويات من خلال التركيز على المؤتمرات التي هي السبيل الأمثل لتوسيع قاعدة التلاقي بين أبناء الأمة من أجل تشخيص الأمراض والعلل، واحتواء كافة ظواهر التعصب وأساليب الغلو والتفريط وإحلال التدوين الصحيح بديلاً..

ج) العمل على توضيح ونشر النصوص الدينية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى وكيفية النهي عن المنكر ومعنى الجهاد والشهادة، وأحكام التعامل مع الآخرين على اختلاف أفكارهم ومذاهبهم وغير ذلك من المفاهيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام ومحورها التوازن والوسطية..

د) تفعيل المنابر للتعريف بالفضائل الإسلامية ومواجهة العنف الناشئ عن التعصب والجهل بالقيم الإسلامية الصحيحة، إذ لا بد من سعي جدي لتصحيح الأخطاء والسلوكيات المنافية للإسلام في المجتمعات الإسلامية.

هـ) التأكيد على دور المؤسسات الخيرية والمجتمع المدني في نشر التعايش وثقافة الاختلاف والتسامح والحوار والسعي إلى تبني إستراتيجية بعيدة المدى لحفظ وصيانة مجتمعاتنا الإسلامية إضافة إلى مشروع حضاري لحفظ الفضائل الإسلامية والتعريف بها

من خلال إعلام إسلامي رسالي هادف.

و) السعي لإبراز عالمية الإسلام الأصيل في أخلاقه وقيمه والعمل على دفع الشبهات عنه من خلال تطوير المناهج الثقافية والتربوية بحيث تكون قادرة على مواجهة كافة أساليب التشويه وصولاً إلى مساعدة الناس على فهم أكبر للعنف والتعصب والإرهاب الحقيقي.. وكيفية التعاطي لمواجهتها.

أثر الجمود والتطرف على وحدة الأمة :

لاحظنا كيف أن الجمود الفكري الذي ابتليت به الأمة أدى إلى نشوء وإثارة العصبية المذهبية التي لها جذورها في الواقع الإسلامي بحيث حوّلها إلى حالات طائفية عصبية متطرفة تختزن الكفر والتضليل لمجرد الاختلاف في رأي أو اجتهاد.. وهذا ما أثر على وحدة الأمة وتماسكها وبالتالي على وحدة صفوفها ودليلنا حالة الانقسام التي طرأت على وحدة المجتمع داخل المسجد الإسلامي في كل بلد أو منطقة أو حي بحيث أصبح لكل طائفة مسجدها الذي تلتقي فيه أتباعها بعيداً عن أتباع الطائفة الأخرى، تُرى لِمَ لم نحمل من الماضي هذه الوحدة وإنما حملنا ما يعمّق الخلافات ويحولها إلى فتن وحروب تأكل الأخضر واليابس..

لِمَ لم نحمل الحديث الشريف لرسول الله (ص) بأبعاده أن «التبسم في وجه إخيك صدقة»؟..

ولم لم ندرك بالعمق أن قضية الوحدة الإسلامية هي قضية أمر

بها القرآن الكريم وأمر بها رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) وأن هذه الوحدة هي بذاتها قيمة دينية ومشروع ديني يجب أن يمارسه الفرد في كل أسرة قبل أن تمارسه الحكومات والدول..

أخيراً

لقد باتت مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الأمة أمام أعدائها أمل من الآمال التي يتطلع إليها جميع المخلصين في الأمة على امتداد ساحاتها.

فبفضل الإمام الخميني (رض) وثورته المباركة عادت الأمة إلى قوتها وحيويتها، وترسخ مفهوم الوحدة بل تجذّر في قلوب أبنائها، وشهدت مجتمعاتنا الإسلامية دفعا ونهوضاً عظيماً... ثقافياً وسياسياً وعسكرياً تداعت على أثره مشاريع قوى الصهيونية والاستكبار في المنطقة، وحيث كانت الضربة الكبرى التي قصمت ظهورهم هي أن تلك الفئة القليلة المتمثلة بأبناء المقاومة الإسلامية، أبناء حزب الله على أرض الجنوب اللبناني هزمت الجيش الصهيوني الذي كان يدّعي أنه لا يقهر ولا يهزم وأركعته ومرغت أنفه في التراب..

وحيث أعقب ذلك تنبه القوى الشيطانية التي انتفضت مذعورة عاملة على استخدام المكر والانحراف الإسلامي المتمثل بالتكفيريين المتطرفين لإشعال النزاع الطائفي البغيض بين السنة والشيعه.. جناحا الأمة، والطرفان اللذان استطاعا بلورة أشجع

مقتطفات من اشعار جلال الدين الرومي

ترجمة عيسى العاكوب*



-أيها القلبُ، كيف تفكّر في المعاذير عن
هذه الضروب من التقصير؟
فمن جهة الحبيب الكثير من الوفاء، ومن
جهتك أنت الكثير من الجفاء!
-من جهته الفيض من الكرم، ومن جهتك
الخلاف، والكثير والقليل،

من جهته النعم الكثيرة، ومن جهتك الخطايا الكثيرة!

-من جهتك الكثير من الحسد، الكثير من التخيّلات والظنون
الفاصلة،

ومن جهته الكثير من الجذب، والكثير من الإذاعة، والكثير من
العطاء!

-ولماذا الإذاعة الكثيرة؟ لكي تغدو نفسك المرّة حلوة،

ولماذا الجذب الكثير؟ لكي تنضمّ إلى قافلة الأولياء.

-عندما تغدو نادماً على أفعالك السيئة، ذاكرًا لله،

في تلك اللحظة يسحبك لكي يحزرك.

المواقف ضد الإحتلال الإسرائيلي، ففي لبنان حققت المقاومة
الإسلامية بقيادة حزب الله أكبر انتصار عسكري عربي ضد الكيان
الصهيوني الغاصب في حرب تموز ٢٠٠٦ وحيث تزامن مع ذلك تعمق
الشعور في الأوساط الفلسطينية بضرورة التصدي للاحتلال وعدم
المساومة مهما بلغت التضحيات.

وان الأحداث الهائلة وشلال الدم الزاكي الذي شهدته غزة
الصامدة والصابرة على جراحها.. إبان العدوان الوحشي الهجمي
الذي شنّه العدو الصهيوني في أوائل العام ٢٠٠٩ والذي توجّ بانتصار
الإرادة الثابتة والعزم الكبير للشعب الفلسطيني الأبدي بكامل
مجاهديه رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً.

غير أن ما ينبغي الالتفات إليه، هو أن المقاومة الفلسطينية بكامل
فصائلها في غزة عندما نهضت وصمدت وضحت لم تفعل ذلك
دفاعاً عن طائفة وإنما دفاعاً عن الأمة كلها عرباً ومسلمين.

وأن حزب الله في لبنان عندما خاض معركة الكرامة ضد إسرائيل
لم يفعل ذلك دفاعاً عن طائفة دون أخرى، وإنما دفاعاً عن قضايا
الأمة وفي مقدمتها قضية فلسطين.

وعندما أصرت الجمهورية الإسلامية في إيران على رفض أي لون
من ألوان الاعتراف بالكيان الإسرائيلي الغاصب ودفعت ثمن ذلك
غالياً حتى الآن إنما كانت تنظر بعين المسؤولية اتجاه دين الله.

* - أستاذ بجامعة حلب، والمجموعة هذه ضمن كتاب «يد العشق» مختارات من
ديوان شمس التبريزي لجلال الدين الرومي.

عندما تغدو خائفًا من الذنب، طالبًا النجاة والخلاص،
في تلك اللحظة لِمَ لا ترى بنفسك ذلك الذي بعث الهَلَع في
قلبك؟

إذا أعمى عينيك، تكون كالحصاة في يده،
تارةً يدحرجك مثلها، وتارةً يقذف بك في الهواء.
تارةً يضع في طبعك عشق الفضة والذهب والحليّة،
وتارةً يضع في نفسك نور صورة المصطفى.
- في هذه الجهة يسحبك نحو أهل الصلاح، وفي تلك الجهة
نحو أهل الفساد،
وفي هذه الدوّامة إما أن تمرّ السفينة، وإما أن تتحطم.
- أكثر من الدعاء في السّر، أكثر من الأنين في هدأة الليالي،
فلعلّ الصدى يصل إلى مسمعك من قبة السموات السبع.
- فإنّ نداء شُعيب ونواحه وتلك الدموع المنهمرة كالبرّد
عندما تجاوزت الحدّ، جاءه نداءً من السماء في السّحر:
«إذا كنتَ مذنبًا فقد عفوتُ عنك وصفحْتُ عن إساءتك،
أتنشُد الفردوسَ إذا؟ - ها قد حبوتك إياها، فاصمُتْ، وكفَّ عن
هذا الدعاء».

ردّ شعيب: «لا أريد هذا ولا ذاك، بل أريد مشاهدة الحقّ عيانًا،
فحتى لو صارت الأبحرُ السبعة نازًا لألقيتُ نفسي فيها طلبًا
لللقاء!

- فإذا طردتُ عن ذلك المشهد، وأغلقتُ عينايا اللتان غمرتهما
الدموع لكي لا ترياه،

فإنني أجد ربسكنى الجحيم، أما الجنة فلست أهلاً لها.
- وحتى الجنة من دون وجهه هي عندي جهنم وعدو لدود أيضًا،
لقد احترقتُ بهذا اللون وهذه الرائحة [اللذنين للفناء]، فأين اللق
أنوار البقاء؟»

قالوا: «باختصار، أقلّ من البكاء، لكي لا يضعف بصرك،
فإن العين تعمى عندما يتجاوز البكاء الحدّ».
فقال: «إن كان لعيني أن تريا في النهاية تلك الصفة
فإنّ كلّ جزءٍ مني سيغدو عينًا، فلم أعتّم من العمى إذا؟
- وإذا كانت عيني ستظلّ محرومةً في النهاية
فليعمّ ذلك البصرُ غيرُ الجدير بمشاهدة الحبيب!»،
- في هذه الدنيا، كلّ إنسانٍ سيغدو نداءً لحبيبه،
وحبيب أحدهم وعاء دمٍ، وحبيب الآخر شمس الضياء .
- ولأنّ كلّ إنسان قد اختار حبيبًا، جميلًا أو قبيحًا، تبعًا لطبيعته هو
فإنه من المؤسف والمحزن لنا أن تُفني أنفسنا من أجل لاشيء.
- في يومٍ من الأيام صار أحدهم رفيق طريق لـ (بايزيد)،
فقال له (بايزيد) في الآخر: «أي حرفة اخترت، أيها المحتال؟»

فأجاب الرجل: «مُكارٍ»، فهتف بايزيد: «امضِ!»
ياربّ، أمتّ حماره، لكي يغدو عبدًا للحقّ.

* * *

أيها العنّاق، أيها العنّاق، هذا اليوم نحن وأنتم
قد غرقنا في اللجّ، فمن ذا الذي يعرف العوم؟

.ولو أنّ طوفان العالم انداح، وصارت كلّ موجة كالجمل،
ما الذي يجعل طيور الماء مغتمة؟ إذ طيور الهواء هي التي
ينبغي أن تغتمّ.

.وقد ضاءت وجوهنا بالشكر، وتعلّمنا ونحن في الموج والبحر،
بقدر ما يكون البحر والطوفان مضاعفين لحياة السمك.
فيا أيّها الشيخ، أعطنا منشفة، ويا أيّها الماء، أعطنا عمقاً،
ويا موسى بن عمران، تعال، واضرب ماء البحر بعصاك.
هذه الرياح تطبخ في كلّ رأس هوى مختلفاً،

فليكن هوى ذلك الساقى من نصيبي، والباقي كلّ لكم.
أمسي، اختطف الساقى في الطريق قلانس الشرب،
واليوم يضاعف الشراب لينزع عنا ثيابنا.

.يا حسد القمر والمشتري، معنا، ومتوار عن الأنظار كالجنّي،
برفق، برفق تأخذني، ألا تقول: إلى أين؟
.أيّما تذهب فأنت معي، يا مَنْ أنت عيناى وضيائي،

إن شئت فاسحبني نحو السكاري، وإن شئت فأقلني نحو
الفناء.

.اعلم أنّ العالم مثل جبل الطور، ونحن مثل موسى طالبون،
في كلّ لحظة يصل تجلّ، فيشقّ الجبل.
قطعة تغدو خضراء، وقطعة تغدو عبهرا،
وقطعة تغدو جوهراً، وقطعة تغدو ياقوت وكهرمان.
فيا من تطلب رؤيته، انظر إلى سلسلة جباله،

ويا أيّها الجبل، أيّة ريح هذه التي عصفت بك؟ فقد أسكرنا
الصدى.

أيّها البستاني، أيّها البستاني، لِمَ جئت لتتشبّث بنا؟
إذا كنّا قد قطفنا أعنابك، فقد انتزعت كيسنا!
* * *

.اليوم شاهدت طلعة الحبيب، ذلك الرونق لكل شيء،
كان منطلقاً نحو السماء مثل روح المصطفى.
- كانت الشمس خجلة أمام طلعتة، وكان الفلك مشوشاً مثل
القلب،

ومن ضيائه صار الماء والطين أكثر ضياءً من النار.
قلت: «أظهر لي السُّلم لكي أعرج إلى السماء»،

فقال: «إنّ رأسك هو السُّلم، فضع رأسك تحت قدميك».

- فعندما تضع قدميك على رأسك، ستضع قدميك على أرواس
النجوم،

وعندما تخترق الهواء، ضَع قدمك على الهواء، وأت.
مائة طريق ستظهر لك في السماء وفي الهواء،
وأنت تطير إلى السماء في كلّ سحر كالدعاء.
* * *

.في كلّ لحظة يأتي وحي السماء إلى سرّ الأرواح :

«إلى متى تظلّ لاصقاً بالأرض كالدردي؟ هيا، تعال !

.دائماً، ثقلاء الأرواح يكونون كالدردي، يظلّون في الآخر،

ويمضي إلى أعلى الرّاقود عندما يتصّفى من دُرْدِيَه فقط.
لا تحرك الطين كل لحظة، لكي يصفو ماءك،
ولكي يغدو دُرْدِيَك لألاء، ولكي يغدو ألمك دواء.
روحِي كالشعلة، لكنّ دخانه أكثر من نوره،
وعندما يتجاوز الدخان الحدّ، لا يظهر في المنزل ضياءً.
ولو أقللت الدخان لاستمتعت بنور الشعلة،
ولأضاءت من نورك هذه الدّار وتلك الدّار.
انظر في الماء العكر، فإنك لن تشاهد فيه القمر ولا الفلك،
فالشمس والقمر يختفيان عندما يمتلئ الجو بالغبار.
تهبّ ريح الشمال التي بها يغدو الجو صافياً،
ومن أجل هذا الصيقل تهبّ الصّبا عند السّحر.
ريح الرّوح تجلو الصّدْر من كلّ أسي،
ولو توقّف النّفْس لحظة، لجاء الفناء إلى النّفْس.
النفْس الغريبة في هذه الدنيا تواقّة إلى مدينة اللامكان،
فلماذا، لماذا النفس البهيمية ترتع في المرعى على الدوام؟
أيتها النفس الطاهرة الطيبة الجوهر، إلى متى أنتِ نضو سَفَر؟
أنتِ بازّ شاهي [ملكي] فطيري من جديد نحو صفيير الملك.

* * *

أيها العنّاق، أيها العنّاق، ها قد حان وقت الوصل واللقاء،
وجاء نداءً من السماء: «أي ذوي الوجوه القمرية، مرحباً بكم

ههنا!»

يا أرباب السّور، يا أرباب السّور، ها قد جاء الطرب جازاً الذّيل،
وقد أمسكنا بقبده، وأمسك هو بأذيالنا.
جاء الشراب الناري، فيا شيطان الغمّ تنحّ،
ويا أيتها النفس التي تفكّر في الموت امضي، ويا أيها الساقى
الباقي ادخل.

يا من الأفلاك السبعة ثملة بك، نحن كالحصاة في يدك،
يا من وجودنا من وجودك في مائة ألف مَرْحبا.
يا أيها المطرب الحلو النّفْس، كلّ لحظة تحرك الجرس.
أيها العيش، أسرج الفرس، أيّتها الصّبا هبي على أرواحنا.
يا صوت الناى العذب السّمَر، في صوتك طعم السّكر،
ومن صوتك تأتيني رائحة الوفاء في المساء والسّحر.
ابدأ بدايةً جديدة، واعزف تلك الأنغام مرّة أخرى،
ويا شمس اللقاء الطيب، تيهي على كلّ الحسان.
اصمت لا تشقّق الستار، ارشف من إبريق الصامتين،
كن ستاراً، كن ستاراً، وتعود على حلم الحقّ.

* * *

ما أجمل الحديث والاستماع والقصّ على شففته،
خاصّةً عندما يفتح الباب ويقول: «يا خواجه، ادخل».
للشفة الجاقة يروي قصّة عَيْن الخضر،
على قدر قدّ الرّجل يفصل خياط عشقه القباء.
تغدو أعين الماء ثملة من سكرات عينه،

والأشجارُ ترقصُ أمامَ لطافةِ الصِّبا!

والبلبل يقول لشجرة الورد: «ماذا في قلبك؟

أوضحيه هذه اللحظة، لأحد قريب؛ أنت وأنا فقط».

فتقول له: «طالما أنك مع نفسك، لاتحدّث نفسك بهذا الطمع،

فاجتهد في أن تزيل وطأة (نفسك) من هذه الدار.

استيقنْ أنْ تُقَبِّبَ إبرة الهوس ضيقُ

لا يعطي الطريق للخيط عندما يراه ثنائياً.

انظر إلى الشمس التي غمرتها النار إلى حلقتها،

لكي يغدو وجه الأرض من وجهها ممتلئاً بالضياء!

عندما اتجه الكليم نحو الشجرة النارية

قالت: «أنا ماء الكوثر، اخلع نعليك، وتقدّم!

لا تخش ناري، لأنني ماءٌ وحلوٌ أيضاً

ها قد جنّت إلى الرّخاء، الصدرُ لك، ومرحباً بك!

أنت جوهرٌ لألاء، وياقوت المنجم، أنت روح المكان واللامكان،

أنت نادرة الزمان، أين الخلق منك، أين؟»

من كفّ العشق تغدو كلّ كفّ مثابةً للعطاء،

ومنك تغدو الدنيا الغدّارة مَعِيناً للوفاء!

جنّت منذ أول النهار تحمل في كفّك الكأس الخسروية

لتسحب روعي نحو المأدبة قائلاً: «أهلاً وسهلاً!»

ماذا يحدث للقلب، عندما تمسك يد القلب يد الحبيب؟

وماذا يحدث للنحاس حين يسمع صوت الترحيب من حجر

الكيميائي؟

جاء الحبيب المدهش، بيده الرمح، مثل العربيّ،

فقلت: «ماذا أستطيع أن أقدم من خدمة؟». فقال: «تعال

عندنا».

-وثب قلبي، قائلاً: «هل لي أن أجري؟». فقال العقل: «أذهب

أنا؟».

فأشارت كزماً، قائلاً: «بلى كلاكما!»

عندما تصل المائدة من السماء اغسل يدك وفمك أيضاً

حتى لا تنبعث من راحتك رائحة البصل والثوم.

ها قد وصل منجم الملح، فانتبه، إذا كنت مليحاً وعاشقاً،

خُذِ الكأس، وأعطِ القصعة، اختر الجيشان، ودع الشوربة!

والآن أغلق هاتين الشفتين، لعلّ مصباح النهار والليل

يحكي لك القصّة، بشعلة اللسان أيضاً.

* * *

وصل ذلك المليك، وصل ذلك الملك، فزيّنوا الإيوان،

اقطعوا سواعدكم من أجل حسناء كنعان.

أما وقد جاء روح روح الرّوح، فلا يليق أن يُذكر الرّوح،

فأمامه أي عمل للرّوح غير أن يكون قرباناً.

بغير العشق كنت ضالاً، فدخل العشق على حين غرة،

كنت جبلاً، فصرتُ تبنّاً لجواد السلطان.

وسواءً أكان تركياً أم طاجيكياً، فإنّ هذا العبد قريبٌ إليه

قرب الرّوح من الجسد، لكنّ الجسد لا يرى الرّوح.

- فيا أيها الأحبة، جاء الحظ السعيد، حان وقت عرض اللباس
الفاخر،

جاء سليمان إلى العرش، من أجل عَزْل الشيطان.

فثَبَّ من مكانك، لِمَ تتلَكَّا، لِمَ أنت من دون يدٍ ومن دون رِجُلٍ

[عاجز]؟

وإذا كنت لاتعرف الطريق إلى قصر سليمان، فاسأل الهدهد.

واجعل هناك مناجاتك، بح بأسرارك وحاجاتك،

فإن سليمان يعرف حقًا لغات الطيور جميعًا.

الكلام رِيحٌ، أيها العبدُ، تشتت القلبُ،

لكنه يأمرها «بأن تجمع شمل المتفرقين!».

* * *

.أرأيت قَطُّ عاشقًا شبعًا من هذا العشق؟!

أرأيت قَطُّ سمكةً صارت شبعةً من هذا اليمِّ؟

.أرأيت قَطُّ نقشًا يفرّ من النقّاش؟!

أرأيت قَطُّ (وامقًا) يطلب العذر من (العذراء)؟

.في الفراق، يكون العاشقُ مُثَلَّ اسمِ خالٍ من المعنى،

ولكنَّ معنى من قبيل (العشق) مستغنٍ عن الأسماء.

.أنت يَمُّ وأنا سَمَكٌ، فأمسك بي كما تشاء،

وأظهر الرّحمة، واستخدم القوّة الملكية، فمن دونك أبقى

وحيدًا.

.فيا ملك الملوك القاهر، أيّ قحطٍ في الرحمة هذا في الآخر؟

في اللحظة التي لا تكون فيها حاضرًا، تشبّ النارُ عاليًا.

.لو أنّ النار نظرت إليك لتنحّت إلى زاوية المكان؛

لأن من يقطف وردًا من النار، تعطيه النارُ وردًا جميلًا.

- عذابُ هذه الدنيا من دونك، فلا كانت للحظةٍ واحدة من

دونك؛

بروحك أسألك هذا؛ فإنّ الحياة من دونك ألمٌ وبلاءٌ لي.

.خيالكُ مثل سلطان يتبختر في ساحة القلب،

ومثلما يدخل سليمانُ المسجد الأقصى.

.آلاف المشاعل اشتعلت، فأضاءت المسجد كلّهُ،

وصارت الجنّة وحوض الكوثر مملوءة برضوان، ومملوءة بالحُور.

.تعالى الله، تعالى الله، إن في الفلك كثيرًا من الأقمار،

وهذه الخيمة مملوءة بالحور، لكنها متوارية عن عين الأعمى.

.مدهشٌ سعيدٌ ذلك الطائر الذي وجد مقامًا في العشق،

فمن ذا الذي يظفر بمقامٍ ومنزل في جبل قاف غير العنقاء؟

رائعة تلك العنقاء الربانية، ملك الملوك، شمس تيريز.

فتلك شمسٌ لاشرقية ولاغربية، وليست في أي مكان.

السيد محسن الأمين العاملي

١٢٨٤ - ١٣٧١هـ / ١٨٦٧ - ١٩٥٢م

• السيد الأمين علّم من أعلام المدرسة التي ربطت عملية الاجتهاد بالإصلاح. أدرك السيد الأمين (رض) أن الوحدة الإسلامية هي من الممنوعات الاستعمارية. إن مدرسته المحسنية بجميع فروعها التي أسسها على حب التسامح والإخاء قد أثمرت ولله الحمد ثمرتها المنتظرة. مما لاشك فيه أن الذهنية التي يمتلكها الفقيه تؤثر على طريقة معالجته للقضايا. عندما يصل الفقيه من خلال استنباطه إلى وجوب الوحدة فسوف يكون له في شعار الوحدة طعم خاص ومتميز. لقد كان المرحوم الأمين فقيهاً واعياً لواقع المسلمين، مدركاً لأضرار التشتت الذي أصاب الأمة ومازالت أضراره وآثاره السيئة يعاني منها الملايين من مسلمي هذا الزمان.

رجلٌ حمل همّ التخلّف الحضاري والتمزّق الاجتماعي للأمة فعاش لهذا الهمّ، ولذلك كان تقريبياً.

لقد كان السيد محسن الأمين «من المراجع التي انتظمت وساهمت في رسم معالم مدرسة فكرية من مدارس عصر التجديد والنهضة في تاريخ العرب والمسلمين. هذه المدرسة نقرأ تجلياتها

في مركزين إسلاميين كبيرين هما الأزهر والنجف. في الأزهر نقرأ تجلياتها مع الشيخ محمد عبده ومدرسته الإصلاحية الكبرى، وفي النجف مع سلسلة من الفقهاء، الذين نتعرف على أسمائهم في زمن انتفاضة التبناك والثورة الدستورية في إيران، ثم الانتفاضة الشعبية في العراق أمثال حسن الشيرازي، وكاظم الخراساني، وحسين النائيني، وآخرين.

والسيد الأمين علم من أعلام هذه المدرسة التي ربطت عملية الاجتهاد بالإصلاح ورأت الاجتهاد الموصل إلى الإصلاح حالة من حالات الجهاد والفريضة»^(١).

هاجر سنة ١٣١٩هـ إلى دمشق بعد أن أتمّ دراسته في النجف الأشرف، وسكن في أحد أحيائها، وراح يتلفت إلى ما حوله، فراعاه ما رأى من جهل وفقرونزاع وعادات سيئة، ورأى أن علّة العلل في هذا الوضع المتردي تكمن في:

«١- الأمية والجهل المطبق فقد وجدنا معظم الأطفال يبقون أميين بدون تعليم، وبعضهم يتعلمون القراءة والكتابة في بعض الكتاتيب على الطراز القديم.

٢- وجدنا إخواننا في دمشق متشاكسين منقسمين إلى حزبين بل إلى أحزاب وقد أخذت منهم هذه الحزبية مأخذها.

٣- مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة...

١- المصلح الإسلامي السيد محسن الأمين في ذكره السنوية الأربعين.

المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، من ورقة الدكتور وجيه كوثراني، ص ١٠٢.

فوجهنا اهتمامنا إلى إصلاح هذه الأمور الثلاثة»^(١).

قال عنه لطفي الحضار رئيس الوزراء السوري الأسبق:

«إن ما كان يتمتع به الإمام العلامة السيد محسن من الزعامة والقوة والحب العميق مَنْ جميع مَنْ عرفه واجتمع إليه من إخوانه ورجاله وأبناء عشيرته وغيرهم، كانت هذه الزعامة والحب قوة لنا لمتابعة الجهاد والنضال دون تردد أو ضعف، وكانت مجالسه كلها التي نغشاها من حين إلى آخر مجالاً للدعوة الصالحة في وجوب التضامن والائتلاف ونبذ السخائم والخلافات والترفع عن الدنيا والإسفاف»^(٢).

وقال عنه الشيخ هاشم الخطيب من علماء السنة في دمشق:
«لقد نهض بأبناء طائفته الجعفرية في سوريا ولبنان وجبل عامل نهضة مباركة وخطا بهم خطوة طيبة حببت إليهم جميع إخوانهم من المسلمين والعرب كما حببتهم أيضاً إلى الجميع فكانوا يداً واحدة إخواناً متحابين على سرر متقابلين تجمعهم وحدة الإسلام وتنظم أهدافهم وغايتهم المصلحة العامة».

ونقل عنه الدكتور مصطفى السباعي «إن شخصاً جاء إليه لينتقل من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، فعرفه بأنه لا فرق بين السنة والشيعية في العنوان الإسلامي. وعندما أصر هذا الرجل قال له السيد الأمين قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

رسول الله. فقالها الرجل، فقال له: لقد أصبحت شيعياً.

لقد أدرك السيد الأمين (رض) أن الوحدة الإسلامية هي من الممنوعات الاستعمارية. وبذلك كان ثورة على الطائفية في الوقت الذي كان لا يمانع من بحث القضايا المذهبية بذهنية علمية موضوعية، وبروح إسلامية واعية، لأن هناك فرقاً بين الحوار العلمي، والاستغلال السياسي، أو التحرك الغوغائي لأن الحوار يؤدي إلى التفاهم وينتهي إلى الوحدة، بينما ينطلق الاستغلال والغوغائية إلى مزيد من البعد والاختلاف»^(١).

ومن أعماله المشهورة التي لا تزال قائمة حتى اليوم مدرسته التي أقامتها «على أتم نظام وأحسن انتظام ذات صفوف ثانوية وقسم داخلي تفوق جميع مدارس دمشق التي من نوعها بحسن تنظيمها والمحافظة فيها على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ونجاح طلابها في الامتحانات مائة بالمائة، وأصبحت الطلاب تتهافت عليها من جميع الأحياء لما يرى أولياؤهم من تهذيب أخلاق أولادهم ونجاحهم حتى صار يضطروننا الحال أحياناً إلى رد طلبهم لضيق المكان»^(٢).

إلى جانب ذلك «أنشأ جمعية الاهتمام لتعليم الفقراء والأيتام» وكانت مسؤوليتها تقوم على حصر أسماء الناشئة، وتهيئة الأسباب

١- المصلح الإسلامي السيد محسن الأمين. ورقة السيد محمد حسين فضل الله، ص ٩٠.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٦١.

١- أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين. بيروت: دار التعارف، ج ١٠، ص ٣٦١.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٨٤.

المادية لضمان متابعتهم الدراسة لأن معظم الأهل بسبب فقرهم يفضلون إرسال أبنائهم إلى بعض المراكز الحرفية لتعليمهم صنعة وهم بحالة الأمية وذلك لحاجتهم الملحة لدخل هؤلاء الأولاد لتأمين الضرورات المعاشية.

ولمّا لاحظ العلامة الأمين أن الأطفال والشباب بحاجة لرعاية خارج نطاق المدرسة أنشأ جمعية الرابطة الأدبية الاجتماعية لتملأ هذا الفراغ وترفدهم بالنشاط الأدبي والرياضي فكانت هذه الجمعيات تعمل مؤازرة للمدرسة المحسنية والمدرسة اليوسفية تحت إشرافه المباشر وتوجيهه الدائم»^(١).

وعن نهجه الودودي في التعليم يقول الأستاذ عبد اللطيف الخشن وهو من الذين تعلموا وترّبوا في مدارس السيد الأمين: «لم يكن السيد محسن الأمين في معاملته لغير أبناء الطائفة الشيعية أقل من معاملته الحسنه لأبناء طائفته، ولم أجد في حياتي كلها مؤسس مدرسة في الدنيا لا يبالي بحب أبناء طائفته أولاً وإيثارهم على غيرهم، وجعلهم مقدمين في الوظائف على غيرهم باستثناء مولانا الأمين الذي كان يفتش عن معلمين للمدرسة يحسنون التدريس، دون النظر إلى الطائفة التي ينتمون إليها، إذ كان يفتش عن الإنتاج الفكري، والنضوج العقلي، والوعي في الأستاذ دون أن يسأل عن طائفته، وعن نحلته، وهذا بشهادة جميع الذين لمسوا

١- المصلح الإسلامي السيد محسن الأمين. ص ١٥٢.

من الراحل الكريم هذا التسامح وهذه العدالة.

لقد كان أستاذة المدرسة من جميع رجال الطوائف، وإني لأذكر على سبيل الاستشهاد والمثال أن معلمي الدروس الصرفية والنحوية كانوا من السنة والشيعة، وكان المدرس للغة الفرنسية مسيحيًا، وكان مدرس اللغة التركية سنّيًا.

ونظرًا للشهرة التي نالتها المدرسة يؤمئذ أقدم الكثيرون على إرسال أولادهم إلى المدرسة وهم من مختلف الطوائف، ولم يكن في برامج التعليم أية صفة خاصة، أو مميزة لفريق دون آخر من التلامذة»^(٢).

ويصف هذه المدرسة الشيخ هاشم الخطيب بقوله: «إن مدرسته المحسنية بجميع فروعها التي أسسها على حب التسامح والإخاء قد أثمرت ولله الحمد ثمرتها المنتظرة ونرجو لها دوام التقدم والازدهار بهمة من يسيرون على نهج مؤسسها المخلص الوفي»^(٣). ومن آثاره الخالدة موسوعة *أعيان الشيعة* وتحتوي على تراجم للموالين لآل بيت رسول الله (ص) على مرّ التاريخ. وقد يخال المرء بادي الرأي أن الرجل يكرّس الطائفية بكتابه، ولكن مطالعة الكتاب بل مطالعة المقدمة فحسب تفصح أن السيد الأمين أراد أن يبرز التشييع بأنه مسار علمي فكري جهادي أدبي .. بعبارة أخرى أراد أن يبرز الوجه الحضاري للتشييع، لينأى به عن الوجه الطائفي. وهذا

١- *أعيان الشيعة*. ص ٤١١.

٢- المصدر نفسه، ص ٤١٣.

أكبر عمل يمكن أن ينهض به التقريبيون: أن يحولوا المذاهب من حالة تعدّد طائفي إلى حالة تنوّع حضاري، وهكذا فعل السيد الأمين.

الفقيه التقريبي

مما لاشك فيه أن الذهنية التي يمتلكها الفقيه تؤثر على طريقة معالجته للقضايا، وطالما رأينا الذهنية الطائفية تفرض نفسها في الفقه لتنتج آراء تكثر الطائفية، وتشعل نيران الخصومة. أما إذا كانت الذهنية التي يحملها الفقيه تقريبية، أو قل مقاصدية تفهم أن الهدف الأول للإسلام بعد كلمة التوحيد هو توحيد الكلمة وبناء الأمة الواحدة فإن ذلك ينعكس في مواقفه الفقهية.

والسيد محسن الأمين من الفقهاء الذين نرى الروح التقريبية في معالجاتهم الفقهية، وننقل عن الشيخ محمد علي التسخيري رأيه في هذا التوجّه الفقهي لدى السيد الأمين. يقول:

«الف. إن أصحاب هذه النظرة الفقهية إلى التقريب لا ينادون بتوحيد المذاهب بحيث يذوب بعضها في البعض الآخر، بل يسعون إلى تبيين مكانة التقريب في منظومة الفقه الاجتماعي، ويصوغونها بقالب فقهي واضح، ويرفعون تلك الملابسات والإبهامات الفقهية المتوجّهة إلى فكرة التقريب بالأجوبة الشافية والكافية، والالتزام بلوازمه في المجتمع المسلم. يقول السيد الأمين:

«ليس مقصودنا من هذه المقالة أن نجعل أهل السنة شيعة أو

العكس، وأن يتبّرأ كل من الطرفين من آرائه ومعتقداته».

وبعبارة أخرى: يحاول هؤلاء استنباط حكم التقريب وتنقيح موضوعه، فهم بدل أن يتدخلوا في بعض المسائل الجزئية بين هذا المذهب وذاك، يسعون إلى تنقيح المباني الكلامية للتقريب، وإعداد الأدلة الفقهية اللازمة لها.

ب. أنّ مجرد تبيين الحكم الفقهي للوحدة، وطرحه في منظومة الأفكار الفقهية، لا يعني رفع الغموض الذي يكتنف الناحية الفقهية المتعلقة بهذا الموضوع الاجتماعي الحساس، وإنما ينبغي - علاوة على السعي في هذا الطريق - البحث في النسبة بين الأدلة الفقهية للوحدة وأدلة سائر الأحكام الفقهية، وتتبع حركة البحوث والتحقيقات التي يقوم بها العلماء والفقهاء، وفي ظلّ مطالعة من هذا القبيل يمكننا تشخيص الموارد والظروف التي نعتبر فيها أن الوحدة حاکمة على الأحكام الأخرى بشكل أساسي.

ولعل من أهمّ المسائل التي تواجه أصحاب هذا الاتجاه التقريبي هي كيفية وضع الحلول العلمية لبعض المشكلات التي تعترض الطريق الواصل بين أدلة الوحدة وأدلة سائر الأحكام الفردية أو الاجتماعية الأخرى.

ونجد مثل هذا الاهتمام في كلمات العلامة الأمين، حيث يتعرض إلى مسألة التولّي والتبرّي من منظور فقهي، ويحاول معالجة صلة قضية التقريب بهذه المسألة، فيقول:

«يقول البعض: إنّ هذا الأمر يتنافى مع مافي الدين من أمر واجب

وهو التولّي والتبرّي وإنكار المنكر بالقلب واليد واللسان، لأنّ المقصود منهما أن يصدرا من العبد بنية خالصة لله تعالى.. ولذا فإن من قام بعمل قبيح علينا أن نشعره بعدم الارتياح من ذلك، وأن نسعى لمنعه منه، ولا يجوز لنا إلحاق الأذى به خارج إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعامل معه بخشونة، وإنّما علينا أن نتعامل معه برأفة، وننهاه عن المنكر ونأمره بالمعروف باللين والنصيحة»^(١).

ج. الإكثار من رفع شعار الوحدة: عندما يصل الفقيه من خلال استنباطه إلى وجوب الوحدة فسوف يكون له في شعار الوحدة طعم خاص ومتميز. فالوحدة من الشعارات المحببة والخطيرة. محببة لأنه يوجد شعور عام بأهمية قضية الوحدة، إذ أن المسلمين قاطبة يشعرون أن نقطة الضعف في مواقفهم إنّما هو التشتت والفرقة المستشرية فيهم. وكونه خطيراً فلأنّ الفكر-أيّ فكر- لو كان تجريدياً محضاً، لا يعنى بواقع الناس ولا يعيش همومهم ينزوي لا محالة ولو بعد حين، بعكس ما لو كان يؤثر في حياة الناس ويتفاعل معهم، فإنّه سيشكل منعطفاً تاريخياً فيخلد.

فقضية الوحدة الإسلامية قضية مهمة وخطيرة حيثما يوجد واقع يشغله مسلمون، ويكفي أن يلقي المرء نظرة على خارطة العالم، ومقدار ما يشغله المسلمون منها من مواقع استراتيجية، ليدرك جيداً أهمية موقفهم الحضاري.

١- راجع مقال: حق اليقين.

د. السعي لرفض الخرافات: إن أصحاب النظرة الفقهية إلى التقريب يدركون قبل الآخرين ما تتركه الخرافات من آثار سلبية في المجتمع؛ ومن هذا المنطلق فقد تصدّى لها العلامة المرحوم السيد الأمين بشجاعة كبيرة رغم العقبات التي واجهها، وما خلّفته من متاعب جمّة، وليس هذا بجديد على الفقيه والباحث والمصلح والمحقق، حيث اكتسح الخرافات ورمى بها عرض الحائط، وأسّس مكانها مواقع عمل مشتركة جعلت تملأ الفراغات الحاصلة جرّاء قمع الخرافات والأساطير التي كانت قد عشعشت في أذهان الكثير من الناس.

كتبت جريدة *العصر الجديد* ضمن مقال في مقام إطرء منزلته، والثناء على شخصيته:

«لقد حمل البسطاء من الجعفريين أن يتركوا الخرافات التي جاءت من الخارج وأدخلت على مذاهب السنّة ومذاهب الشيعة مجتمعة»^(١).

هذا الاتجاه الفقهي في التقريب ينبغي أن ينطوي على كافة الأحكام التي تمسّ الإنسان المسلم في أي مكان من أطراف الأرض المعمورة، وتجب على المسائل التي هي محلّ ابتلائه، وترفع عنه حرجه، وتيسّر له الأمور.

لذا فإنّه ينبغي أن يشتمل مشروع التقنين التقريبي على:

١- أعيان الشيعة: ١/٤٣٣.

١. الأجوبة الشافية لجميع تساؤلات الإنسان المسلم.

٢. النظرة الشاملة لجميع أطراف الواقع الوجودي، والتي تضع في حسابها عنصرين أساسيين: الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي.

٣- مباحث فقهية تعنى بشؤون المسائل التقريبية والواقع الوجودي المنشود، وتقديم خلاصة الدراسات على هذا الصعيد، وصياغتها بصورة أحكام فقهية مستقلة.. على أن تشمل ما يلي:

أ. الأدب الفقهي الخاص بالتقريب، واللغة الفقهية. التقريبية. الموجهة.

ب. الاستدلالات الفقهية المشتركة.

ج. بيان أدلة الوحدة فقهيًا - من الكتاب والسنة الصحيحة - وبراهينها النقلية والعقلية.

د. الشواهد التاريخية من الأخبار والآثار.

هـ. آراء علماء السلف وأقوالهم في هذا الجانب.

و. بيان فلسفة الوحدة وأخلاقيات التقريب.

ز. تصوير تحديات الوحدة الإسلامية وسبل معالجتها على مستوى الأمة.

ح. تعزيز المباحث بالاقتراحات القيمة على هذا الصعيد، وتوجيه

سبل تطبيقها.

لقد كان المرحوم الأمين فقيهاً واعياً لواقع المسلمين، مدركاً لأضرار التششت الذي أصاب الأمة وما زالت أضراره وآثاره السيئة يعانينا منها الملايين من مسلمي هذا الزمان، فلذلك دعا إلى

التحصن بثقافة متينة مطبوعة بطابع وحدوي، لا تشوبها أية خرافات، ولا ما يثير حفيظة طوائف المسلمين، تستند على دعائم علمية قوية، تستشف شرعيتها من جملة قواسم مشتركة بين جميع المسلمين ولا غرو في ذلك، فقد أنجب الإسلام فحولاً كانوا بمثابة منارات تنير درب التقريب الوعر، وأعمدة تقام عليها خيمة الوحدة الإسلامية، انطلقوا ببُعد نظرهم ورجحان عقولهم باتجاه التصدي لتحقيق الواقع الوجودي الذي تنشده أجيال المسلمين».

يمكن تلخيص مشروع السيد الأمين في الوحدة الإسلامية بما يلي:

١- إشاعة التعليم ورفع المستوى الثقافي للمسلمين الشيعة وسنة.

٢- تحويل الاتجاه الطائفي للشيعة إلى اتجاه علمي ثقافي حضاري.

٣- مكافحة الخرافات لدى الشيعة والسنة.

٤- إقامة علاقات علمية بين علماء السنة والشيعة.

٥- تقديم المشروع الإسلامي للحياة الذي يجتمع في دائرته السنة والشيعة.

٦- التوجه التقريبي في معالجة المسائل الفقهية.

التثقيف والتقريب



• إن الدعوة الإسلامية قامت على أساس عملية تثقيفية في إطار تصور يجمع بين الجانبين الروحي والمادي •
يمكن تلخيص أهداف الأديان السماوية بكلمة واحدة وهي «الإحياء»

• أكبر مشكلة تعترى البشر على طريق تكاملهم هو تضخم الصفات المنبعثة من «الطين»، بحيث تغطي على «نفخة روح رب العالمين»
• الإنسان القابع في ذاتيته مثل دودة تعيش في الأوحال بين الظلمات، فهو بعيد عن الله، ويبعد طاغوت النفس • الإحيائيون على مژ التاريخ الإسلامي نهضوا بمهمة إيقاظ المسلمين واستنهاضهم • التقريب في فهمنا هو التوجه النفسي نحو تجاوز الخلافات والبحث عن المشتركات • في المسيرة المتجهة إلى الله يتوفر التبادل المعرفي بين الشعوب.

مقدمة

التثقيف والتحصن والإحياء والتقريب مفردات تجمعها منظومة فكرية واحدة هي حركة الإنسان والمجموعة الإنسانية نحو الله سبحانه وتعالى.

ولتوضيح هذا الارتباط نبدأ بذكر معنى الثقافة وارتباطها بالحضارة ثم نبين معنى الإحياء وعلاقته بالتطور الحضاري، ومكانة التقريب في هذه المنظومة، ونقدم مثلاً لمحاولات عملية ثقافية عملية للتقريب.

الثقافة

الثقافة التي نقصدها هذا المقال هي مجموعة ما في المجتمع من أفكار ومعتقدات وعادات وتقاليد وما يسوده من علاقات اجتماعية وسلوك فردي وجمعي: ومن الطبيعي أن كل مجتمع بهذا المعنى له ثقافة، فلا يخلو مجتمع من المفردات التي ذكرناها لمعنى الثقافة، غير أن ثقافات الشعوب تختلف من حيث تصورها للكون والحياة، وتختلف أيضاً من حيث وجود العناصر المحركة الفاعلة فيها.

من حيث التصور ثمة ثقافات تقصي الجانب الروحي من الإنسان، ومنها ما يأخذ بنظر الاعتبار الجانبين الروحي والمادي منه. أما من حيث العناصر المحركة الفاعلة، فمن الثقافات ما يفتقد هذه العناصر، فتكون الثقافة عندئذ راکدة، ومنها ما يمتلك هذه العناصر فتكون الثقافة متحركة بمقدار فاعلية تلك العناصر.

الحضارة

نقصد بالحضارة في هذا المقال نتاج النشاط الإنساني من

خلال حركته الثقافية، على الصعيدين المعنوي والمادي.

من الطبيعي أن المجموعة البشرية التي تتحرك في إطار ثقافة مادية لا تنتج سوى الحضارة المادية. وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذا النوع من الحضارة، ويرى أنها تقوم على «العبث» و«البطش» يقول سبحانه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾. أما الثقافة التي تأخذ بنظر الاعتبار الجانبين الروحي والمادي فتنتج الحضارة الإنسانية التي تحقق الحياة الطيبة وتهدى السفينة إلى ساحل الأمان ودار السلام^(١).

في معرض حديثنا عن الحضارة نقف عند ملاحظتين:

الأولى: إن الدعوة الإسلامية قامت على أساس عملية تثقيفية في إطار تصور يجمع بين الجانبين الروحي والمادي ولذلك انتجت حضارة إنسانية تجمع بين العلوم الإنسانية والمادية، وبتعبير آخر بين علوم الدين والدنيا، دون أي إفراط في جانب على الجانب الآخر، يدل على ذلك فهارس علماء الإسلام وتخصصاتهم المختلفة على مَرّ التاريخ.

الثاني: إن الحضارة الإسلامية التي أفلتت لأسباب تاريخية معروفة لم تتحول إلى حضارة أثرية كالحضارات التي بادت في التاريخ مثل الحضارة البابلية والآشورية والفرعونية.. بل هي حضارة يمكن أن

١- انظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر .

تعود إلى الحياة على مستوى متطلبات العصر إن توفرت لها الظروف الثقافية التي أدت إلى ازدهارها في القرون الأولى، أي ان توفرت لها ظروف الإحياء.

الإحياء

يمكن تلخيص أهداف الأديان السماوية بكلمة واحدة وهي «الإحياء»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. الإنسان في النظرة الدينية مخلوق من «طين» ويرمز إلى الجانب الحيواني من الموجود البشري، وفي هذا الطين «نفخة روح رب العالمين» ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ وهذه النفخة هي الجانب السامي من الإنسان، وبها استحق أن يكون مسجود الملائكة.

والإحياء في المدرسة الدينية يعني تفعيل هذا الجانب المتسامي من الإنسان، كي يتحرك نحو كماله المنشود، ولكي تتفجر كل الطاقات المعنوية والمادية المودعة في فطرة هذا الإنسان. بعبارة أخرى تفعيل الجانب المتسامي يعني توجيه الإنسان نحو بناء حضارة إنسانية شاملة.

أكبر مشكلة تعترى البشر على طريق تكاملهم هو تضخم الصفات المنبعثة من «الطين»، بحيث تغطي على «نفخة روح رب العالمين».

وإذا تضخمت صفات الطين، أو النزعات الغريزية الهابطة في

الإنسان، يبقى هذا الموجود البشري في دائرة «ذاتيته» و«أنايته» لا يفكر إلا بمصالحه الضيقة وبإشباع غرائزه الهابطة. وبذلك يصبح مُثقلًا بركام تلك الصفات والنزعات، ويبقى مقيدًا بالأغلال التي تمنعه من الحركة التكاملية. ولذلك فإن مهمة الرسول هي أنه: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

الإنسان القابع في ذاتيته مثل دودة تعيش في الأوحال بين الظلمات، فهو بعيد عن الله، ويعبد طاغوت النفس. والمؤمن يعيش في النور، ويتحرك نحو «الله»: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

كل المصلحين السائرين على طريق الأنبياء يحملون رسالة «الإحياء» ويمارسون مهمتهم حسب ما تقتضى ظروفهم.

يقول الشهيد مرتضى مطهري: ⁽¹⁾

«القرآن يتحدث في كثير من آياته عن الحياة ومراتبها النباتية والحيوانية والإنسانية، وسنقتصر في حديثنا على وجهة النظر القرآنية حول الحياة الإنسانية.

القرآن في حديثه عن الحياة الإنسانية يتجاوز المظاهر

البيولوجية للحياة كحركة القلب ودوران الدم ونظائرها. فهذه الحياة حيوانية لا تستطيع وحدها أن توضح الإطار الإنساني للحياة. وثمة نوع آخر من الحياة ينبغي أن يتزود به الإنسان كي يتمتع بالحياة الإنسانية، وقد يفتقد شخص هذه الحياة وهو يتمتع بكامل مظاهر الحياة البيولوجية. من هنا قال القرآن لِيُنذِرْ مَنْ كَانَ حَيًّا . وهذا التعبير القرآني يوحي بتقسيم الناس إلى فئتين: حية وميتة. ويقول إن النداء الإلهي يجد طريقه إلى قلوب الذين لا تزال فيهم بقايا حياة. أما الذين افتقدوا الحياة فلا أثر للإنذار الإلهي عليهم.

القرآن يمثل للحركة على طريق الله وللحركة على غير طريق الله، فيركّز على خصائص الحياة والنماء في الحركة الأولى، والجذب والموت والضلال في الحركة الثانية فيقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .».

ويقول في موضع آخر:

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ .

١- انظر: مرتضى مطهري، إحياء الفكر في الإسلام، ترجمة محمد علي آذرشب، بنياد

بعث طهران .

الحياة التي يتحدث عنها القرآن هنا ليست بالحياة البيولوجية، بل حياة إنسانية، يخرج الإنسان بها من الظلمات البهيمية إلى نور الهداية الإلهية، ومن ظاهرة الموت التي تجعل الإنسان أرضاً صلدة غير قابلة لتقبل كلمة الحق، إلى ظاهرة الحياة التي تحوّل الإنسان إلى تربة صالحة لحمل الرسالة الإلهية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .

لكن هذه الاستجابة لا تتحقق فيمن انعدمت فيه كل مظاهر الحياة الإنسانية: إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ ..»

الإحيائيون على مرّ التاريخ الإسلامي نهضوا بمهمة إيقاظ المسلمين واستنهاضهم وكان على رأس هؤلاء أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم. وفي تاريخنا المعاصر نهض إحيائيون عظام بهذه المهمة من أمثال: السيد جمال الدين الأسد آبادي، وعبدالرحمن الكواكبي، ومالك بن نبي، وإقبال اللاهوري، وعبد الحميد بن باديس، وأبو الأعلى المودودي، ومحمد باقر الصدر، ومرتضى مطهري، وروح الله الموسوي الخميني، والسيد علي الخامنئي.

التقريب:

التقريب في فهمنا هو التوجّه النفسي نحو تجاوز الخلافات والبحث عن المشتركات.

هذه الحالة النفسية هي إفراز للثقافة المتحركة الإحيائية.. ولا يمكن أن تتحقق إلا في جوّ حضاري. في مثل هذا الجوّ ترتفع تطلعات الإنسان إلى آفاق بعيدة وأهداف كبيرة، «وتصغر في عين العظيم العظام».

ثم إنّ الإحياء يتجّه إلى ارتباط أعضاء الجسد الحي برباط عضوي، «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وفي حالة ضمور الحياة يضعف هذا الارتباط ويضمّر. من هنا نرى الإحيائيين تقريبيين أيضاً، وهذا ما ثبت لدينا من خلال دراستنا لمسيرة التقريب في القرن الماضي^(١).

عناصر الحراك الثقافي

ما هي العناصر التي تجعل الثقافة متحركة باعثة على الانتاج الحضاري؟

هذا سؤال كبير شغل أذهان الإحيائيين جميعهم، وسعوا إلى الإجابة عنه من زوايا مختلفة ونذكر بعض هذه الآراء:

ارتباط الإنسان بالله تعالى - كما أراده سبحانه - هو في المفهوم الديني: رجوع إلى الله، وحركة بل فرار إلى الله، واستجابة لنداء الله، إنه بعبارة أخرى ارتباط متحرك بالكامل المطلق سبحانه، وسير

١- انظر: محمد علي آذرشب، مسيرة التقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .

على طريق اكتساب الكمال. والإنسان بفطرته يطلب الله، وفيه شعور ملتهب للحركة نحو مصدر كماله، لكن الآلهة المزيفة تتعملق على طريقه فتصدّه عن الحركة، وواجبه في الحياة هو اتقاء هذه الآلهة، وهذا هو معنى التقوى.

لعلّ هذا هو الذي أشار إليه مولانا جلال الدين الرومي - وهو في رأينا من الإحيائيين -^(١) في قصة الناي.

يتحدث في أول مثنوياته عن الناي الذي يشكو ويحكي عن آلام الفراق. فهذا الأنين الذي نسمعه من الناي هي أشواق لأصله الذي انتزع منه يقول:^(٢)

بشنوا زني چون شکایت می کند واز جدائیها حکایت می کند
کزنیستان تامرا بُبریده اند درنفرم مرد وزن نالیده اند
آی: اسمع من الناي إذ يشكو وعن فراقه إذ يحكي
فما إن قطعوني عن مزرعة القصب حتى بدأت أن وبئن معي الرجال والنساء

فالموجود البشري يحمل أشواق العودة إلى أصله، وهو من الله، ففيه «نفخة روح ربّ العالمين» ولذلك فهو يحمل أشواق الاتجاه إلى الله.. أي الاتجاه نحو كل ما يتصف به الله من صفات الجلال والجمال.. نحو العلم والخلق والإبداع والجمال والقوّة والعزّة

١- أنظر: التوجيه الثقافي، ط جامعة طهران، قصة الناي عند مولانا جلال الدين.

٢- عبد الباقي گولپینارلی، نشر وشرح مثنوی شریف، جلد اول، دفتر اول ودوم، طبعة وزارت فرهنگ وارشاد اسلامی، ١٩٩٥، ص ٦٦.

والكرامة والرحمة.. وهذه حقيقة الموجود البشري، والتأكيد على هذه الحقيقة فيه استشعار لعزّة الإنسان، واستثارة لأشواقه نحو الكمال.

الأنين الذي يصدر من الناي هو شوق الكمال الحضاري، وهو جوهر الإنسان، وهو «العشق» في التعبير العرفاني.

وفي هذا السياق أيضًا يطرح الإمام الشهيد محمد باقر الصدر نظريته التي تدور حول «المثل الأعلى» باعتباره العامل الذي يوفر للمسيرة البشرية حركتها الصاعدة التكاملية نحو آفاق لانهاية لها^(١).

ومن الطبيعي أن المسيرة البشرية المتجهة نحو الله تتوفر فيها العناصر التي ذكرها الإحيائيون لتفعيل المسيرة الحضارية. من ذلك:

التيموس أو العزّة بتعريفنا. فهو في رأي أفلاطون الطاقة المحركة لمسيرة التاريخ^(٢). والعزّة تتوفر بشكل كامل حين يشعر الإنسان بارتباطه بخالق السماوات والأرض. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

ويتوفر فيها القضاء على الاستبداد الذي يؤدي إلى الفتور والتخلف في مسيرة الحضارة كما يرى الكواكبي^(٣)، إذ ان الاستبداد

١- انظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، التفسير الموضوعي، مؤسسة الهدى الدولية، طهران ١٤٢١هـ.

٢- انظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مركز الانماء القومي، بيروت.

٣- انظر: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، تحقيق د. محمد جمال الطحان، دار الأوائل ٢٠٠٣م.

أكبر خان والمذاهب

- كان عصر أكبر آخر عصر من عصور القوة الإسلامية في الشرق
- يتميز أكبر بسعيه لإنهاء العصبية الدينية في بلاده • كان يهّمه
- جداً أن يجمع شبه القارة الهندية تحت سلطان واحد • لقد بلغت
- باكبر الحيرة في تحقيق فكرته أن جمع عدداً من الاطفال ورباهم
- بعيداً عن تأثيرات المجتمع • «المذهب الإلهي» الذي دعا إليه أكبر
- يطلب الناس بأن يعبدوا رباً واحداً، وأكبر ظلّه على الأرض • يظهر أن
- أكبر في آخر حياته وقف على أخطائه، فعاد إلى حضيرة الإسلام،
- وهدم عبادة خانه • حالة التمزق والصراع الديني لا يمكن أن يقبلها
- أي إنسان حريص على كرامة أمته وعزّتها ورفعتها • ظواهر طرح
- المشاريع الناقصة والمنحرفة والعلمانية نسمع بها ونراها في الساحة
- الإسلامية، وكلها تؤكد ضرورة تقديم أطروحة التقريب على قاعدة
- علمية رصينة مدروسة واقعية

التعصب الطائفي والمذهبي ضيّع على المسلمين دائماً فرصاً كثيرة في النمو السياسي والاقتصادي والاجتماعي. والأمثلة على ذلك كثيرة، والمثال الذي نقدمه في هذا المقال من شبه القارة الهندية ومن أواخر القرن العاشر الهجري حيث كانت الأسرة

ينشأ من طغيان «الذات» وتحولها إلى إله يصد الحركة إلى الله، وهو ما ينشأ من حالة الشعور بالاستغناء عن الله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ ﴿فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وفي المسيرة المتجهة إلى الله يتوفر التبادل المعرفي بين الشعوب الذي هو عنصر هام من عناصر الانتاج الحضاري، لأن التعارف هو هدف التعددية في المجتمعات البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

ويتوفر الانفتاح على الآخر والاستماع له، إذ إن شرط هذا الانفتاح هو تجنب الطاغوت بالتعبير القرآني:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

ويتوفر فيها اندفاع لطلب العلم والمعرفة، استجابة لدوافع تكاملية ذاتية واستجابة لدعوة دينية ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

التيمورية قد أقامت دولة عظيمة هناك هي ثالث دول العالم الإسلامي آنئذ بعد الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وحيث النزاع بين الصفويين الشيعة والعثمانيين السنة قد امتدّ إلى شبه القاهرة الهندية، فدارت بين الفريقين معارك طائفية حادة، وعلى حساب هذه المعارك قوي الهندوكيون وبدأوا يتوسعون سياسيًا واجتماعيًا، وعلى حساب هذه المعارك أيضا توغّل المبشرون البرتغاليون داخل الهند وكثفوا نشاطهم، وامتدّ نفوذهم إلى داخل البلاط الحاكم، في عهد «أكبر خان» وبذلك توفّرت كل الظروف لانحدار هذه الامبراطورية إلى السقوط بيد الاستعمار الأوربي.

من هو أكبر

أبو الفتح جلال الدين محمد ثالث أباطرة الاسرة التيمورية بعد «بابر» و«همايونشاه». ولد في امركت umarkot من أعمال السند سنة ٩٤٩هـ. واعتلى السلطنة في البنجاب سنة ٩٦٣هـ، وتوفي في أكرا سنة ١٠١٤هـ تاركا الأمر لابنه سليم (جهانگیر).

استولى على كجرات وبنغاله وكشمير والسند فوسّع ملكه، واهتمّ باللغة الفارسية وهي اللغة الأدبية لتلك الاصقاع آنذاك، وأمر أن تترجم كل كتب الهند الأدبية والدينية القديمة إلى اللغة الفارسية. وسجّل وزيره أبو الفضل تاريخ حياة أكبر في كتاب هام بالفارسية سماه «أكبرنامه»، ثم أمر أن تكتب تكملة لهذا الكتاب تتضمن جغرافية الهند سمّيت «أئين أكبري».

كان عصر أكبر آخر عصر من عصور القوة الاسلامية في الشرق. إنه عصر السلطان سليمان القانوني العثماني، وعصر الشاه عباس الثاني في إيران. وكان عصر هؤلاء يقابل عصر النهضة الأوربية، عصر اليزابيث الأولى في بريطانيا، وفرديناند الثاني في إسبانيا. غير أن أوربا شقت طريقها نحو التقدّم والنمو بينما دول الشرق الكبرى مرّقتها النزاعات حتى سقطت بيد الطامعين.

ويتميز أكبر بسعيه لإنهاء العصبية الدينية في بلاده، وخاض في هذا المجال تجربة كانت تقوم على أساس خصائصه الذاتية، ففشلت فشلاً ذريعاً، وتركت لنا تجربة تستحق الوقوف عندها.

خصائصه الذاتية

ذكرنا أن تجربة أكبر في المسألة المذهبية ترتبط بخصائصه الذاتية فما هي هذه الخصائص:

١- كان أكبر حادّ المزاج عنيداً لا ينتصح ولا يعير لرأي أهمية، بل يعمل بما خطر في فكره وارتضاه، وبدت عليه هذه الحالة منذ صباه، إذ أحضر اليه والده همايون أعلى الأساتذة كعباً، ولكن فشل المدرسون حتى في مجرّد تعليمه مبادئ القراءة والكتابة، وظل أمياً طول حياته رغم أنه كان يعيش في جوّ مليء بالأدباء والعلماء، بل كانت عمته جلبدان في طليعة المثقفات والأديبات وزوجته السلطانة سليمة من الأديبات ومتذوقات الأدب. وكان في بلاطه أعظم الأدباء والشعراء.

٢- كان إلى جانب أميته مهتمًا بجمع الكتب وفهم ما تحتويها، ويقال إن مكتبته الضخمة حوت ٢٤ ألف مخطوط من أنفس المخطوطات، كما ذكرنا أنه أمر بترجمة كتب الهند القديمة إلى الفارسية ليفهمها. وكانت الكتب تقرأ عليه فيستوعبها بذاكرته الخارقة، ويناقد ما فيها من عويص المشكلات الأدبية والفنية!!

٣- كان يهّمه جدا أن يجمع شبه القارة الهندية تحت سلطان واحد، وذلك لا يتحقق في رأيه إلا إذا قضى على الاختلافات الدينية والطائفية في هذه المنطقة الصاخبة بألوان الأديان والمعتقدات.

٤- تركت الحروب الضارية، التي خاضها في فتوحاته، والتي أدت إلى مقتل الآلاف المؤلفة من المسلمين والهنادكة، حالة نفسية كارهة لكل نزاع دموي ولكل إزهاق لأرواح الناس. وكانت هذه الحالة ذات تأثير في مشروعه المذهبي.

مشكلة تعدد الأديان والمذاهب

بدافع من رغبته في توحيد الهند تحت سلطانه، ومقته للنزاعات راح أكبر يفكر في حلّ لمشكلة التعددية في مملكته. وكان تفكيره ممتزجًا بأميته وحدّته وكثرة المعلومات في ذهنه.

رأى أن اللغة الأوردية استطاعت أن تسود في الهند منذ عهد المغول، وهي خليط من اللغة الفارسية وهي لغة الأدب والمثقفين في الهند، واللغة التركية وهي لغة الجيش المغولي، واللغة الهندية. فهل يمكن جمع كل الأديان في مزيج موحد وتحويلها إلى معتقد واحد؟!

راحت هذه الفكرة تنضج في ذهنه على مرّ الأيام وكلما خطا على هذا الطريق خطوة وجد أن العقبات كثيرة، ولكنه لم ينثن عن مواصلة الطريق. لم يكن يفكر في الصواب من الأفكار والمعتقدات بقدر ما كان يفكر في توحيدها ودمجها وصرها في بوتقة واحدة.

كان أكبر مسلمًا ومن الطبيعي أن يتجه في بداية أمره إلى أن يتبين الطريق السوي بين الفرق الإسلامية، ولكنه لم يستطع أن يتبين الطريق من شدة الأضواء التي كانت على جانبيه وفي وسطه ولاختلاف ألوانها. ولكنه كان في نفس الوقت طريقًا مضرّجًا بالدماء مليئًا بالمآسي التي خلفها صراع متطاوّل بين الفرق الإسلامية.

وخلال تفكيره بحلّ لقضايا الاختلاف المذهبي يصاب بأزمات نفسية حادة حتى لتجده فجأة قد امتطى صهوة جواده «حيران» فيطلق له العنان إلى أيّ اتجاه شاء الحصان، ويظل حيران منطلقًا، ويظلّ أكبر يحثّه على المضي، حتى يعجز عن الركض، وإذا أكبر في مكان موحش، فيجلس يعيش مع أفكاره وخيالاته ساعات طوالًا.

ولقد بلغت بأكبر الحيرة في تحقيق فكرته أن جمع عددًا من الأطفال وربّاهم بعيدًا عن تأثيرات المجتمع ليعرض عليهم الأديان والمذاهب والعقائد، لعل فطرتهم تهديهم إلى الدين الفطري الاصيل. ولكنه فوجئ أن هؤلاء الاطفال بسبب عزلتهم تحولوا إلى جماعة من البكم لا تعي شيئًا.

عبادة خانه

في خطوة لفتح باب النقاش بين أصحاب الملل والنحل بنى أكبر

«عبادة خانة» ليجمعهم فيه، وليتجادلوا في أمور الدين ويتحاججوا وليدافع كل واحد عن معتقده. أسسها في «فتحپور» ودعا إليها علماء المسلمين سنة وشيعة ودعا إليها أيضًا رجال الدين البراهمة والزرادشتيين، كما دعا إليها المبشرين البرتغاليين القادمين إلى الهند، وكان يجلس هو إلى جانبهم ويستمع إلى مناقشاتهم وي طرح عليهم الأسئلة تلو الأسئلة.

لم تكن هذه طبعًا طريقة صحيحة لاستبيان الحق، بل إن مثل هذه المحافل عادة تثير خلافات وهمية وجدلاً عقيمًا، ولا تسفر إلا عن مزيد من اللجاج والخصومة، لأن كل طرف من الأطراف لا يستهدف الإفحام خصمه بأية وسيلة حتى ولو عن طريق السفسطة اللفظية واللف والدوران. ومن الطبيعي أن لا يتحقق ما أراده أكبر من هذه الجلسات.

المذهب الإلهي

حين يئس أكبر من الوصول إلى وحدة في الآراء عن طريق «عبادة خانة» وقع في خطأ فادح آخر هو دعوته إلى مذهب يضم - على رأيه - حسنات كل الملل والنحل، وأطلق عليه اسم «المذهب الإلهي».

و«المذهب الإلهي» الذي دعا إليه أكبر يطالب الناس بأن يعبدوا ربًا واحدًا، وأكبر خان ظلّه على الأرض. وأن يعيشوا نباتيين لا يشربون الخمر، ولا يكذبون. كما منع بموجب هذا المذهب بعض

العادات المنافية للانسانية مثل: «الساتي»، وهو أن تنتحر الارملة التي لا أطفال لها في أعقاب وفاة زوجها. وأحلّ أكبر زواج الهندوكيات الأرمال، وكان محرّمًا. ومنع الزواج مع وجود تفاوت سنّي فاحش بين الزوجين، كما منع الزواج من الفتيات الصغيرات، والتزواج بين الأقرباء.

والواقع أن هذه التعليمات لا يمكن اعتبارها مذهبًا مستقلًا، وكان بإمكانه أن يطلب من كل المذاهب العمل بها، ولكنه فرضها باعتبارها المذهب الذي يجب أن يدين به الجميع، مما أثار حساسيات المسلمين بشكل خاص، لإيمانهم بأن مصدر الإسلام هو القرآن والسنة، ولا يستطيع أكبر أن يغيّر شيئًا، وبذلك دخل في خصومة مع المسلمين. وهذه الخصومة استغلها الهندوكيون والمبشرون البرتغاليون، فتقربوا إلى أكبر، وأصبحوا موضع اعتماده أكثر من المسلمين.

التأمر الصليبي

كان عصر أكبر مقرونًا بعصر النشاط التجاري البرتغالي في البحار، واحتلال الموانئ وطرق الملاحة البحرية. وكانت البرتغال مهتمة بنشر المسيحية في هذه الموانئ والطرق، فأرسلت الآباء الجزويت إلى هذه المناطق، وانتشروا في شبه القارة الهندية، ونالوا حظوة عند أكبر، ولفتوا نظره بما يحملونه من علوم عصرية إضافة إلى علومهم الدينية، مما جعله يعيّن أحد هؤلاء الآباء لتدريس ابنه «سليمًا».

استخلاص العبر

حالة التمزق والصراع الديني لا يمكن أن يقبلها أي إنسان حريص على كرامة أمته وعزتها ورفعتها، إذ لا يتحقق شيء من هذا إلا في ظل الوحدة. من هنا لابد من مشروع علمي إسلامي للوحدة وتقريب فصائل الأمة ومذاهبها. وإن لم يدخل هذا المشروع ساحة العالم الإسلامي فإن مشاريع منحرفة أو علمانية ستحل محله. سيرتفع الصوت من أفراد يعيشون الوحدة على مستوى العاطفة لا العلم فيقدمون مشاريع ناقصة أو منحرفة مثل وحدة المذاهب ووحدة الأديان، ويثيرون زوبعة سرعان ما تخمد لتخلف وراءها مزيداً من التمزق والتعصب. أو يرفع الدعوة إلى الوحدة علمانيون يقدمون مشاريع قومية أو وطنية أو طبقية لتكون بديلة للمشروع الإسلامي، فيلغون بذلك حقيقة راسخة في أعماق هذه الأمة هي حقيقة «الدين»، ويصطدمون بالفطرة والواقع وبالمحتوى النفسي والفكري للأمة التي ينشدون توحيدها، فلا يجنون إلا الخيبة والفشل.

وكل هذه الظواهر السلبية: ظواهر طرح المشاريع الناقصة والمنحرفة والعلمانية نسمع بها ونراها في الساحة الإسلامية، وكلها تؤكد ضرورة تقديم أطروحة التقريب على قاعدة علمية رصينة مدروسة واقعية.

والآباء الجزويت كانوا معروفين بتعصبهم ضد المسلمين، بل كانوا في الواقع يقودون تحت راية البرتغال في كل العالم حملة صليبية معادية للإسلام والمسلمين. وهذا ما جعل «سليماً» يفرغ من أي إيمان بمجتمعه وبحقوق والده عليه، فأعلن على والده ثورة كادت أن تدمر الامبراطورية، وحاول أن يستعين بالبرتغاليين على والده. غير أن والده عالج الموقف وأعاد الابن العاق إلى جادة الصواب. وكان الآباء الجزويت يطمعون أن يميل أكبر إلى المسيحية ويعتنقها، وفي مذكراتهم يصرحون بأن أكبر لو فعل ذلك للعب دوراً رائعاً في تاريخ المسيحية لايقل عن الدور الذي لعبه قسطنطين الأول حين اعترف بالمسيحية فانتشرت بسرعة في الدولة الرومانية. ثم تتحول هذه المذكرات إلى حديث غير ودي عن أكبر حين يئسوا من كسبه ولم يظفروا منه بطائل.

نهاية أكبر

يظهر أن أكبر في آخر حياته وقف على أخطائه، فعاد إلى حضيرة الإسلام، وهدم عبادة خانة التي لانجد لها أثراً في «فتحپور». غير أنه فوّت على المسلمين فرصة عظيمة من فرص قوتهم. صحيح أن هدفه في توحيد الأمة الهندية كان سامياً، لكن منهجه كان خاطئاً، فلم يوحد، ولم يدفع بلاده على طريق النمو.

كما أن الثغرة التي فتحها أكبر - ضمن مشروعه - أمام تدخل الآباء المسيحيين البرتغاليين اتسعت بمرور الأيام وأسقطت شبه القارة الهندية بأجمعها في قبضة المستعمرين.

الفكر السياسي عند الشهيد الأول

• ركز الشهيد الأول اهتمامه على العلاقة بين العقل والشرع • الشهيد الأول نظر إلى السياسة باعتبارها جزءاً من القضاء ولوازمه • الفرد والحكومة والعلاقة المتبادلة بينهما، موضوع آخر تطرّق إليه الشهيد الأول.

من هو الشهيد الأول

هو الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي الشهير بالشهيد الأول، ولد في منطقة جبل عامل عام ٧٣٤ هـ^(١)، وقام برحلات عديدة طلباً للعلم والمعرفة، وحضر حلقات دروس فخر المحققين في الحلة مدّة خمسة أعوام^(٢)

للشهاد الأول مؤلفات عدّة نذكر أهمّها: *نكرى الشيعة*، *الدروس الشرعية*، *غاية المراد*، *واللمعة الدمشقية*، *والكتاب الأخير* كتبه بطلب من شمس الدين محمد أوي من حاشية السلطان علي بن مؤيد آخر سلاطين سلسلة السربداران في إقليم خراسان، ليكون ذخراً للشيعة في تلك الديار^(٣). مارس شهيدنا مهمّة الدعوة الدينية بصعوبة بالغة في ظلّ أجواء من الاستبداد والتعسف، ومؤامرات علماء السوء الذين رموه بتهمة الارتداد، فانطلت هذه التهمة على

بعض الشيعة الذين رفعوا عريضة إلى السلطات بإدانتهم، ليُحكّم عليه بالموت في محكمة صورية، ويلقى ربّه شهيداً^(١).

في ظلّ الأوضاع الاجتماعية التي عاشها الشهيد الأول، انبرى إلى الإجابة عن المعضلات الثقافية والدينية عبر تدوينه لرؤية سياسية مبنية على الأصول الرئيسية للدين.

قضايا الحكومة في دراساته

علي هذا الأساس، ركّز اهتمامه على العلاقة بين العقل والشرع ونمط المواجهة بين أحكام كل منهما، ثمّ بحث في علوم الفقه التي تعنى بالقضايا الحكومية في عصر الغيبة، وناقش مبدأ ضرورة الحكومة في كل عصر ولا سيّما في عصر الغيبة وحق حاكمية الشعب^(٢).

بعد ذلك يقوم الشهيد الأول بتقسيم الحكومة إلى مثالية وغير مثالية وبيّن وجه التمايز بينهما على أساس الحاكمية الإلهية، ثمّ يتناول الحكومات المثالية للأنبياء، ويقف عند شروط الحكومة المثالية في عصر الغيبة، أي حكومة الولي الفقيه الجامع للشروط والنائب عن الإمام المعصوم، والذي يمتلك صلاحيات واسعة، ويعتبر أنّ حكمه نافذ باعتباره نائباً للإمام المعصوم^(٣).

١- حقيقت، عبدالرفيع، تاريخ حركة السربداران، ص ٣٦ و ٣٧ وموسوي خونساري، محمد باقر، روضات الجنات، ج ٧، ص ١٢.

٢- الشهيد الأول، القواعد والفوائد، ج ١، ص ٢٣ و ٣٠ و ٣٦ و ٣٨ و ١٤٤ و ٢١٨ وذكرى الشيعة، ج ١، ص ٦٣.

٣- نفسه المؤلف القواعد والفوائد، ج ٢، ص ١٨٣ و ١٤٤ والدروس الشرعية، ج ٣، ص ١٧٤ و ج ٢، ص ٤٧ و ص ٦٧ و ج ١، ص ٢٦٢.

١. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٨١.

٢. شمس الدين، محمد رضا، حياة الأمام الشهيد الأول، ص ٥٧.

٣. الشهيد الأول، اللعة (مقدمه ج ١) ج ١، ص ٢٣ و ٢٤.

أما الدليل العقلي الذي يسوقه الشهيد الأول على الولاية فهو الحكومة السياسية والاجتماعية للنبي (ص) والأئمة المعصومين (ع)، وأما الدليل النقلى فبالاستناد إلى ما ورد من تلميحات في روايات عمر بن حنظلة وأبي خديجة. من البديهي، إنَّ هكذا حاكم يجب أن يتوافر على الشروط والخصوصيات التي تؤهله للقيام بوظيفة النيابة عن الإمام في عصر الغيبة، شروط من قبيل الإيمان والعلم والعدالة والأعلمية للفقهاء الحائز على شروط الفتوى في إطار علم الفقه السياسي، وقد يكون عدم ذكر الشهيد الأول لهذه الشروط هو لأنَّه اعتبرها أمرًا مسلّمًا وبديهيًا^(١).

أما بالنسبة للوزم الحكومة والتي تشمل الأعمال الخاصة بها وشروط عزل الحاكم فتأتي في القسم اللاحق، ففي الأعمال الخاصة يتطرَّق إلى المسؤوليات الرئيسية للولي الفقيه نظير الإفتاء والقضاء وتطبيق الأحكام النظامية للإسلام بالإضافة إلى سائر الصلاحيات مثل التصرّف في الأمور المالية وإقامة صلاة الجمعة^(٢).

ما يجدر ذكره هنا هو أنَّ الشهيد الأول نظر إلى السياسة باعتبارها جزءًا من القضاء ولوازمه، وهذا يدلُّ على أنَّ نظرته إلى القضاء

كانت أبعد من كونها مجرد الفصل في دعاوى، وأنَّ صلاحيات الحاكم تتعدى لتشمل الكثير من المسؤوليات السياسية والاجتماعية.

النقطة الثانية التي ربّما لم يلتفت إليها العديد من الفقهاء، وقد أشبعها الشهيد الأول دراسة وتمحيصًا هي شروط عزل الحاكم، إذ إنَّه متى ارتاب الإمام أو الزعيم السياسي - الاجتماعى للنظام الإسلامى فى الولى أو القائد الذى تحت إمرته أو أنه وجد من هو أكفأ منه، أو لمس انخفاضًا فى شعبيته، بإمكانه أن يعزله، ولكن فى غير هذه الحالات، أى أنَّ الزعيم السياسى - الاجتماعى إذا أراد عزل الولى أو القائد الذى نصبه طبقًا لهواه، ودون مراعاة للمصالح العامة أو دون أن يختار خليفة مناسبًا له، فإنَّ هذا العمل يعتبر سلوكًا غير قانونى^(١).

علاقة الفرد بالحكومة

الفرد والحكومة والعلاقة المتبادلة بينهما، موضوع آخر تطرَّق إليه الشهيد الأول حيث بيّن موقع الفرد فى النظام السياسى، فبالإضافة إلى الدعم الذى يقدمه الفرد للحكومة والذى أشار إليه الفقهاء، فهو يضطلع بدور آخر هو نصب وعزل المسؤولين فى النظام السياسى والقادة فى حال سخط الشعب عليهم، ويتمُّ ذلك عبر الإمام^(٢).

١. المؤلف نفسه، القواعد والفوائد، ج ١، ص ٣٦-٣٨ و٢٤٨ والدروس الشرعية، ج ٢، ص ٦٥، وص ١٢٥ وذكرى الشيعة، ج ١، ص ٤٢، واللعة الدمشقية، ص ٩٠ وص ٩٤.
٢. المؤلف نفسه الدروس الشرعية، ج ٢، ص ٦٥ وص ٤٧ واللعة الدمشقية، ص ٩٤ و٩٠ والقواعد والفوائد، ج ١، ص ٣٦-٣٨.

١. نفس المؤلف، القواعد والفوائد، ج ١، ص ٤٠٥.

٢. المؤلف نفسه، الدروس الشرعية، ج ٢، ص ٤٧ واللعة، ص ٩٠.

بمناسبة إعلان النجف عاصمة الثقافة الإسلامية سنة ٢٠١٢

جمعية منتدى النشر (٢)

عبدالهادي الحكيم*



• جاء تأسيس الجمعية انطلاقاً من
المكانة العلمية والدينية العالمية لمدينة
النجف • نهضت الجمعية منذ تأسيسها
بواجب الإصلاح والتنوير والتربية والتقريب
بين المذاهب الإسلامية • نشرت الجمعية
أمهات كتب التراث في الدين والأدب.

وفيما يتعلق بالمحور الثاني من برنامج المنتدى الإصلاحية المتعلقة بإصلاح نظام الدراسة الحوزوية من خلال التنظيم، وزيادة الفاعلية وهو الغرض الأساس من تأسيس المنتدى، وليس النشر والتأليف للنشر كما يوحي بذلك اسمها وإن كان النشر والتأليف من جملة أهداف مشروع المنتدى المهم، ولعل سبب إيلاء إصلاح نظام الدراسة الحوزوية الأهمية القصوى نابع من شعور أعضاء المنتدى بعدم قدرة نظام الحوزة، القائم فعلاً على تلبية متطلبات العصر

*- باحث عراقي.

ويهتمّ الشهيد الأول بدور الفرد في المشاركة في الحياة السياسية وإدارة المصالح العامة وذلك في حال فقدان الحاكم، وهو لا يجيز توقّف أو تعطيل مصالح الشعب وذلك بسبب الأهمية القصوى التي تحظى بها قضية المصلحة العامة في النظام السياسي للمسلمين. بطبيعة الحال، إنّ شرط العدالة في هؤلاء الأفراد، ينفي احتمال تعريض تلك المصالح للخطر^(١).

أما الحكومة غير المثالية، فهي الباب الثاني في أنواع الحكومات، حيث على الفرد في هذه الحالة الامتناع عن دعمها وتأييدها، وعليه عدم ترجيحها على الإمام ونوابه، كما أنّ الحياة في ظلّ هكذا حكومات مذموم ومكروه إذا كان بقصد الحصول على المنافع المادية أو عقد الصداقة مع الحاكم، وإنّ الأسلوب المطلوب والمناسب للحياة في ظلّ هذه الحكومات هو أسلوب التقية وذلك للحفاظ على سلامة المال والعرض والأموال^(٢).

وفي إطار الحلول والتعاون السياسي والاجتماعي مع حكومة الجور فإنّ القبول بالولاية من الحاكم الجائر لجهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الحل المطروح، وتمّ التأكيد في هذه الحالة على شرط الفقه والاجتهاد، إذ لا يجوز للباقيين بمثل هذا التعاون^(٣).

١- المؤلف نفسه، غاية المراد، ج ١، ص ٥٠٩ واللمعة، ص ١٨١ والدروس الشرعية، ج ٢، ص ٣٢٨ والقواعد والفوائد، ج ١، ص ٤٠٦.

٢- نفس المؤلف، القواعد والفوائد، ج ٢، ص ١٤٤ و١٥٥ والدروس الشرعية، ج ٣، ص ١٧٠ والبيان، ص ٣٢٠.

٣- نفس المؤلف، الدروس الشرعية، ج ٣، ص ١٧٤ و٢ ص ٤٨.

الحاضر، لأمسين لمس اليد عدم كفاءته للنهوض بمتطلبات المستقبل، ناوین فیما بعد استغلال جمعية منتدی النشر الناشئة إذا تم تأسيسها وقامت قائمتها وقوي عودها للغرض الأهم ألا وهو إصلاح الدراسة الحوزوية. وهو ما صرح به رئيسها سماحة الشيخ محمد رضا المظفر في رسالة خاصة بعثها إلى الشيخ أحمد عارف الزین في لبنان يقول الشيخ المظفر كاشفا عن نواياه الحقيقية ونوايا أعضاء مؤسسته بقوله:

«نحن جماعة فكرنا في هذا الإصلاح، والأبواب كانت موصدة في وجوهنا حتى رأينا أن نؤسس منتدی النشر لتحقيق هذه الغاية، وأسميناها بهذا الاسم حتى لا يلفت الأنظار إلى هدفا فيقاوم قبل أن يخطو بعض الخطوات^(١)» وربما أولاها.

سواء أ جاءت هذه المقاومة من المجتمع الضيق الأفق أو من الجهات الرسمية التي قد لا تمنحها الإجازة الرسمية لتزاول أهدافها الحقيقية يقول سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين معللا عدم النص صراحة على أهداف المنتدی الحقيقية بقوله:

«إن الظروف التي كانت تعيشها النجف قبل ربع قرن كانت تفرض هذا ولأن الأهداف الأخرى لو ذكرت لكان من الممكن ألا تُجاز الجمعية على الإطلاق. أما الأهداف التي أجملتها المادة (الثالثة من

نظام الجمعية) فقد فصلها الواقع الذي تعيشه الجمعية الآن، هذا الواقع الذي يتألف من مدارسها الإبتدائية والمتوسطة الدينية وكلية الفقه ومكتبتها ومجمعها الثقافي وجهود أعضائها في ميادين النشر والتأليف وتغذية الصحف الأدبية».

وقد كان استهداف الجمعية لهذه الغايات الكبرى مبنيا على فهم صادق لواقع النجف كمركز ديني إسلامي عظيم ولتطورات العصر ولهذا التناقض الحاد الذي يقوم بين ما يفرضه تطور أساليب الكفاح العقائدي وما تمارسه النجف من هذه الأساليب (...). وعلينا لكي نفهم كل هذا أن نقرر هذه الفقرات من تقرير السكرتير العام لجمعية منتدی النشر الأستاذ السيد محمد تقي الحكيم الذي ألقاه على الهيئة المؤسسة^(١).

ثم يستمر الشيخ شمس الدين في حديثه ناقلاً مما أشار إليه فيما تقدم قوله عن أعضاء الجمعية إنهم «كانوا يرون ويتحسسون بالهوة السحيقة بين ما يراد منه (المحيط العلمي الديني في النجف) وما يستطيع تأديته، فهو - أي المحيط النجفي - على إخلاصه وسعة معارفه يتألف من أشتات متفرقة مختلفة منها ما هو محافظ شديد المحافظة يضم إلى محافظته التي تقتضيها الظروف الدينية انطواء يبعده عن كل ما يدور حوله من أحداث، ومنها ما هو متمرد شديد التمرد يضم إلى تمرد وكفره بالمحيط

١. ينظر نص رسالة الشيخ المظفر في مجلة العرفان. الجزء الثامن والتاسع. المجلد ٢٩

من سنة ١٩٣٠ م .

١. الدوافع والأهداف، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بحث مخطوط بقلمه : ٤ - ٥ .

إيماناً بكل جديد كما لو كان وحيًا ينزل من السماء لا يقبل الأخذ والرد. والفريق الثالث: هو الوسط بين الفريقين يرى البعد الشاسع بين الطرفين ولا يملك تقريبه فيضطره اليأس إلى أن ينطوي هو الآخر على نفسه. فكان لا بد من العمل على إيجاد كتلة متضامنة تأخذ على عاتقها التقريب بين وجهات النظر المختلفة جهد الإمكان أو تكون همزة الوصل بين المتباعدين لتعمل على تحقيق حاجات المحيط ليؤدي رسالته على الصورة التي يتطلبها العصر الحاضر»^(١).
وطبيعي أن تنتج وجهات النظر المتباينة صراعًا حادًا بين دعاة إبقاء ما كان من نظام الحوزة العلمية وأسايبها وكتبها الدراسية على ما كان عليه من جهة، ودعاة التنوير والإصلاح في النظام الحوزوي من جهة أخرى حتى بلغ أشده. وكان لكل من وجهتي النظر مبرراتها وحججها» ما يقربها نسبيًا من الحق، فالقائلون بضرورة الإبقاء على أسلوب وكتب ومناهج الدراسة في هذا البلد كانوا يرون في طابع الحرية الذي يبسود أنظمتها سواء في اختيار الطالب لأستاذه، أم في الكتاب الذي يدرسه ما ينمي ملكته ويقوّي من شخصيته العلمية. وكانوا يعزّون إلى هذا النظام ما عرف به طلابها من حرية فكرية في ميادين المناقشة والجدال مع قدرة على التحرر من جميع مسبقاتهم الفكرية إذا اتضح من خلال المناقشة مجافاتها للحق الذي يهدفون إليه.

وكانت أبلغ حججهم على سلامة هذه الأساليب الدراسية أن عطاء هذا النوع من الدراسة في هذه البلدة المقدسة لا يعدله عطاء في أية جامعة منظمة، وحسبه أن يكون من عطائه ما تخرج عنها من مئات المجتهدين أمثال الشيخ الأنصاري والإمام الشيرازي الكبير وغيرهم ممن وصلوا بعمق تجاربهم وصلابة إيمانهم إلى أرفع المراكز القيادية في الأمة الإسلامية.

أما الآخرون فكانوا يرون في هذا النوع من الدراسة شيئاً من انعدام المسؤولية، وكثرة الإدعاء وتطويل المسافات على الطلاب، وربما قصر في الكثير منهم شوطه على الاستمرار في مواصلة الدراسة للتعقيد السائد في بعض كتبها بالإضافة إلى ما يرون من ضرورة تطعيم معارفها بما جدّ من ثقافات ومعارف، قد يكون لبعضها أكبر العلائق برسالة رجل الدين في هذا العصر»^(١).

وقد رأى المؤسسون من دعاة مشروع منتدى النشر الإصلاحي ممن قضى سنوات وسنوات في الحوزة العلمية طالبًا ثم باحثًا ثم أستاذًا في معرض محاولتهم إصلاح النظام التعليمي السائد في الحوزة العلمية إلى أن المرحلة الدراسية التي تحتاج إلى إصلاح وتعليم منظم هي مرحلة المقدمات والسطوح فحسب دون مرحلة البحث الخارج.

١. المنتدى تاريخ وتطور. أضواء على الفكرة. السيد محمد تقي الحكيم. مجلة النجف.

ويعمل سماحة السيد محمد تقي الحكيم (رض) أحد أقطاب مشروع منتدى النشر ذلك بما ذهب إليه من «احتياج الطالب في مرحلتي السطوح والمقدمات إلى تضخيم الشعور بالمسؤولية، وتوفير الوقت له بتقصير المسافة الدراسية عليه بالأخذ بقسم من المناهج الحديثة في تيسير الكتب وتبسيط مفاهيمه وتطويرها، ثم إضافة علوم أخرى إلى العلوم السائدة في هذه المرحلة اقتضتها طبيعة ما جدّ من تطورات في هذه العصور وبالأخص ما يتصل بالجوانب العقائدية ليكون الطالب الذي يجتاز مرحلته الأولى بمستوى رسالته الخالدة التي يراد له تأديتها كاملة سواء انتقل إلى المرحلة الثانية أو وقف عند حدود المرحلة الأولى.

أما المرحلة الأخرى أعني مرحلة التخصص فقد بلغت في النجف وعلى يد مراجعها العظام بفضل إيمانهم بفتح أبواب الاجتهاد المطلق أقصى ما يمكن أن تبلغه دراسة واعية معمقة، ومن واجب النجف في رأيهم أن تحافظ على هذا المستوى أسلوبًا وفكرًا ومضامين، إذا أرادت لنفسها الاضطلاع بثقل المسؤولية القيادية لهذه الأمة. وعلى أساس هذه الدراسة الموضوعية لطبيعة الصراع قامت فكرة هؤلاء في تأسيس مدارس منتدى النشر بمراحلها المختلفة لتأخذ على عاتقها دور الإعداد والتهيؤ لحضور المرحلة الثانية من قبل طلابها وهم مزودون بعلوم ومعارف تلائم ما يحتاج إليه رجل الدين في هذا الصعيد. ثم بدأوا فخططوا لهذه الفكرة ورسموا لها مراحل نموّها وفصلوا وهم في وسط ذلك الصراع

العاطفي أن يبدأوها صغيرة شأن كل مولود سوي ثم يمدونها بكل ما يملكون من تجارب وحكمة لتنمو نموًا طبيعيًا يأخذ واقعه ومكانته من الحياة»^(١).

وتأسيسًا فقد عمدت على ذلك فقد عمدت جمعية منتدى النشر في سنة ١٣٥٥ هجرية - بعد حصولها ضمناً على ما بدأ أنه عدم ممانعة جدية من المجتمع المتمسك بآليات تراثه التقليدية - إلى وضع خطة «لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهد بفتح الصف الأول الذي كان يدرس فيه أربعة علوم: الفقه الاستدلالي والتفسير وعلم الأصول والفلسفة على شكل محاضرات توضع بلغة سهلة واضحة، فتبرع بتدريس الأول والثاني الشيخ عبدالحسين الحلبي وتبرع بتدريس الثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشدي»^(٢). وكان «الإقبال على هذا الصف من طلاب العلم منقطع النظير»^(٣).

وتبدو سعادة سماحة الشيخ المظفر غامرة بتبرع هذين الرجلين الجليلين والعلمين الكبارين من أعلام حوزة النجف الأشرف العلمية وأساتذتها رغم ضراوة وعنف الرفض التقليدي للدراسة المنظمة كونها خروجًا عن المألوف ثم حضورهما للتدريس وإلقاء

١. المصدر السابق: ٨٣ - ٨٤ .

٢. منتدى النشر أعماله وآماله. الشيخ محمد رضا المظفر: ٨ .

٣. منتدى النشر بعد ١٦ عامًا: ح .

المحاضرات في حلقة دراسية منظمة ما يعد تباشير خير لنجاح فكرة الدراسة المنظمة من مشروع المنتدى الإصلاحي. فقد كتب المظفر وهو يتحدث عن موضوع تبرع هذين الأستاذين الكبيرين للتدريس في المنتدى قائلاً: «وكان تبرع هذين العُلمين بالتدريس في دراسة منظمة من أهم الأحداث في تاريخ النجف الأشرف، ويعد توضيحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والإعجاب بروحهما الإصلاحية»^(١).

بيد أن الصف الأول من كلية الاجتهاد قد توقف بنهاية السنة الدراسية ولم يعد بفتح أبوابه ثانية في بداية السنة اللاحقة لظروف اجتماعية ضاغطة خيبت أمل دعاة الإصلاح مؤقتاً، إلا أن همّة القائمين على مشروع منتدى النشر الإصلاحي لم تضعف ولم تياس، وما هي إلا شهور حتى هبت ثانية لممارسة دورها المنتظر، ففي سنة (١٣٥٨ هجرية) وبعد فتور مؤلم وفترة محرّجة استمرت نتيجة مكابدة حادة ونكوص من البعض قرابة السنة «تأسس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والأدب العربي وبعض الفروع الأخرى واستمر إلى آخر السنة وكان نجاحه مما شجع إدارة المنتدى أن تفتح في السنة (٥٧ - ١٣٥٨) هجرية الدراسية ثلاثة صفوف^(٢). وقد وصف سماحة الشيخ محمد رضا المظفر تلك الحالة بقوله:

١. منتدى النشر أعماله وآماله: ٩.

٢. منتدى النشر بعد ١٦ عاماً: ح.

«رأينا أن الوقت مناسب لفتح المدرسة وتطبيق النظام على الدراسة الدينية فنهضنا نهضة واحدة وإذا الناس معنا أكثرهم، حتى جماعة من العلماء الأعلام، فأدخلوا أولادهم، وإذا بهذه المدرسة تضم (١٥٠) طالباً دينياً في ثلاثة صفوف أكثرهم من بيوتات النجف العلمية الشهيرة^(١)، وهم يدرسون وفق منهجية ونظام جديد علوم العربية والمنطق والفقه والأدب العربي وبعض الفروع الأخرى في كلية منتدى النشر، آخذين كلية منتدى النشر بنظر الاعتبار قرار عمادتها العلمي تصنيف الطلاب المتخرجين من الصف السابق بعد تقييم مستواهم الدراسي طلاباً للصف الثالث من الكلية، وقد اعترفت بها وزارة التربية العراقية ثم واصلت جمعية منتدى النشر برنامجها الإصلاحي فكان أن فتحت في سنة ١٣٦٤ هجرية أربعة صفوف دراسية معتبرة إياها قسماً متوسطاً للعلوم الدينية مع فتح صف تحضيري قبلها وثلاثة صفوف عالية كلية للفقه^(٢).

وقد قدمت جمعية منتدى النشر بعد أربع وعشرين سنة من تأسيسها طلباً رسمياً بفتح كليتها (كلية للفقه) «ومعه النظام إلى وزارة التربية والتعليم بتاريخ ٢٢/٩/١٩٥٨»^(٣) فخرجت هذه الكلية المئات من الطلاب وكان للعديد منهم وليس كلهم دور مشهود في

١. منتدى النشر. الشيخ محمد رضا المظفر. بحث . مجلة العرفان العدد: ٨ و ٩ المجلد

٢٩ لسنة ١٣٥٨ هجرية ١٩٤٠ م .

٢. ينظر: نظام منتدى النشر لسنة ١٣٧٠ هجرية الصفحة: ح وما بعدها .

٣. نظام كلية الفقه في النجف الأشرف: ٥ .

القيام بواجبهم الملقى على عواتقهم سواء من تولى مهمة التدريس منهم في المدارس المتوسطة والثانوية أم من أكمل منهم دراسته العليا في الجامعات، فأشرف على إعداد جيل قادم مسلح بالمعرفة الحقة أم من اتجه منهم إلى إكمال دراسته الحوزوية العالية، أم من تفرغ منهم للعمل السياسي الملتزم، أم اتجه للخطابة أم التأليف أم التعليم أم التدريس أم التبليغ وبخاصة بعد «الهجرة عن الأوطان التي وزعتنا نحن الطليعة بالذات من خريجي كلية الفقه ومدارس منتدى النشر الأخرى أشتاتاً وعبراً أصقاع متناثية من هذه الدنيا العريضة مما لم يكن بالحسبان أو يكن بالإمكان أن ترسمه لوحه من لوحات الخيال أو تعكسه صورة من صور التعبيرات الفنية. لكنني وبحمد الله صرت بعدها أجراً أن أقول عن هذا التشتت أو هذه التوزيعة أنها انعكست «تنويعاً محموداً خلافاً لما أريد أو كيد لها، حتى أثمرت نتاجاً أتى أكله ضعفين إن لم يكن أضعافاً. وشاهدي على ذلك تلك المراكز العلمية والدينية الحيوية التي احتلها في عدد من دول العالم جمع من إخواننا المنتمين إلى مؤسسات منتدى النشر الذين صاروا حريصين على نشر الفكر والدعوة وبت السوعي الديني بين المجتمعات المنتشرة في دول مختلفة»^(١) «ولست أظن أن أحداً ينكر هاتيك الأقلام والألسنة في حملات التوعية ومحاولات تركيز العقيدة في النفوس من طريق المنابر الحسينية أو الحفلات أو التعليم»^(٢).

١. رحلتي الدراسية مع السيد التقي الحكيم. سابق: ٣٥٣.

٢. الشاعر الهادف الشيخ محمد علي يعقوبي. بحث بقلم السيد محمد تقي الحكيم سابق.

ثم ما إن حلّ عام ١٩٩١م وانتفض العراقيون الشجعان على واقعهم المرير واقع الاضطهاد والتمييز والقمع الطائفي الذي مارسه بأبشع صورته نظام الدكتاتور صدام حسين حتى كان للشعب العراقي المضطهد كلمته العليا متمثلة في انتفاضة الشعبانية المشهودة التي حررت ١٤ محافظة من محافظات العراق الـ١٨، وهزت عرش الطاغية الدكتاتور صدام هزة كادت أن تسقطه لولا وشاية بعض الدول العربية المعادية للعراق والعراقيين الشرفاء، ولقد كان من جملة المنتفضين أساتذة وطلاب كلية الفقه حيث كان لهم حضورهم الفعلي في ساحات المنازلة. بيد أنه قدّر لهذه الانتفاضة الشعبانية أن تقمع ولكلية الفقه أن تغلق أسوة ببقية الكليات والجامعات في محافظات الفرات الأوسط والجنوب كلها انتقاماً من دور أبناء الفرات الأوسط والجنوب في الانتفاضة الشعبانية ضد الطغاة غير أن ما اختلف به مصير هذه الكلية عن غيرها من جامعات وكليات الفرات الأوسط والجنوب أنها ألغيت بقرار من مجلس قيادة الثورة مع مصادرة أموالها المنقولة وغير المنقولة ونقل أساتذتها وطلابها وإعادة توزيعهم على الكليات المشابهة الأخرى في حين سمح لغيرها من الجامعات والكليات الأخرى في المنطقة بعد لأي بإعادة فتح أبوابها من جديد.

وليس ذلك بغريب على خريجي هذا المعهد التربوي الناشط أن يقوموا بهذا الدور المؤثر فقد أثبتت إحصائية محايدة أن الغالبية العظمى من قادة وكوادر الحركات الإسلامية العراقية على اختلاف

الأديب البيشاوري

علم وجهاد وأدب

أحمد السواري*

• الروح الإسلامية الرسالية التي يتحلى بها أتباع مدرسة أهل البيت جعلتهم يقفون إلى جانب الدولة العثمانية ضد أعدائها • من الطريف أن الأديب البيشاوري أنشد أيضاً قصائد في مدح الشعب الألماني لوقوفه إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب الكونية الأولى • كما دعا المسلمين إلى الاتحاد لنصرة الإسلام أمام هجوم الروس والبريطانيين على الدولة العثمانية • أشهر قصائده العربية قالها في رثاء الشيخ فضل الله نوري. وسبب اشتهاها موقفه الرسالي من هذا الرجل الشهيد الذي أعدم ظلماً وعدواناً بتهمة عدائه للحركة الدستورية!

الحديث عن الأديب البيشاوري هو استذكار لما كانت عليه أمتنا الإسلامية قبل سقوطها بيد الاستعمار، وقبل حدوث التجزئة القومية والإقليمية والطائفية بين بلدانها. هذا الرجل تحرك بين شبه القارة الهندية وأفغانستان وإيران حركة الإنسان العاشق الذي لا يقدر له

* - الجامعة الرضوية.

تلاوينها هم من خريجي مدارس منتدى النشر الدينية.

كما أثبتت وثيقة أخرى أصدرتها منظمة حقوق الإنسان في العراق من مقرها في لندن مؤرخة في ٢٠٠٢/٥/١م أن بعضاً من تلاميذ السيد محمد تقي الحكيم الذين انتهك النظام الصدامي المجرم حقوقهم (عدا الموجودين في داخل العراق) قد بلغ (٤٩) طالباً منهم: (١٣) شهيداً و(٢) ممن تعرضوا لمحاولات اغتيال و(٦) من الشهداء الذين لم يعثر على قبورهم بعد و(١٥) قد تعرضوا للاعتقال والتعذيب و(٣) هجروا بالقوة وصودرت أموالهم المنقولة وغير المنقولة و(١٠) طاردتهم السلطة التكريتية المجرمة داخل العراق وخارجه^(١).

ولك أن تتصور كم سيكون العدد لو أحصينا أعداد الأشخاص المنتهكة حقوقهم من النشطاء من تلاميذ عديد أسانتها الكثير.

١ .تنظر: موسوعة عن قتل واضطهاد مراجع الدين وعلماء وطلاب الحوزة الدينية لشعبة بلد المقابر الجماعية (العراق). د. صاحب الحكيم: ٢٣٤٠/٣ - ٢٣٤٤ .

قرار، وكان مواطني هذه البلدان ورجالها وأساتذتها ينطقون بلغة واحدة، وهي لغة الحضارة الإسلامية.

كما أن تضرّعه في العلوم الإسلامية والعقلية والعرفانية إلى جانب إلمامه بالأدب الفارسي والعربي، ومواقفه السياسية من السلطة الحاكمة ومن الأوضاع العالمية تبين ما ينبغي أن يتحلّى به علماء الدين من أصالة ومعاصرة.

من هو الأديب البيشاوري؟

هو السيد أحمد بن السيد شهاب الدين، والسيد تعني هنا انتماءه إلى آل بيت رسول الله (ص)، ولد سنة ١٢٦٠هـ في أسرة علم وجهاد، بمدينة (بربريين) تقع على الحدود بين بيشاور (في باكستان حالياً) وأفغانستان.

أنهى دراساته الابتدائية والتمهيدية في مسقط رأسه، إلى جانب عمله في الزراعة وفي مقاومة الاحتلال البريطاني مع أبناء بلده. لكن الاحتلال في هجومه على بلده سفك دماء المواطنين وأعمل فيهم القتل، وكان ممن قُتل والده وأعمامه وأكثر أفراد عشيرته.

عندئذ وجد السيد أحمد أن بلده لم يعد المكان الذي يستطيع فيه أن يواصل عمله العلمي، فودّع والدته ورحل إلى كابل. درس هناك سنتين على الشيخ ملا أحمد المعروف بآل ناصر. توجهه العرفاني دفعه للذهاب إلى غزني حيث عكف على الدراسة والعبادة عند مقبرة الحكيم السنائي ومقبرة السلطان محمد الغزنوي. وهناك

تلقى الآداب والحكمة على الشيخ ملا سعد الدين الغزنوي. غادر غزني إلى هرات، وبعد إقامته أربعة عشر شهراً في هذه المدينة غادرها إلى تربت جام (في خراسان) وأقام فيها أكثر من سنة.

وفي الثلاثين من عمره هاجر إلى مدينة مشهد المقدسة، فتلقى العلوم العقلية والنقلية على علمائها. لكنه اشتاق إلى أن يتزوّد من خاتم الحكماء الملاهادي السبزواري، فرحل إلى سبزواري سنة ١٢٨٧هـ وأدرك السنتين الأخيرتين من عمر ذلك الحكيم الكبير.

عاد إلى مشهد المقدسة بعد وفاة السبزواري عام ١٢٩٠هـ واستقرّ في مدرسة الميرزا جعفر المعروفة (وهي الآن جزء من الجامعة الرضوية).

ولوجود علماء آخرين يحملون اسم «الأديب» في مدينة مشهد، أضيف إلى لقبه كلمة الهندي فأصبح معروفاً باسم الأديب الهندي. دعاه أحد أعيان طهران ليقوم في العاصمة فلبى الدعوة، وحلّ في بيت الميرزا محمد علي خان قوام الدولة مكرماً معزّزاً.

تحول السيد الأديب البيشاوري في طهران إلى محور التقاء الأدباء والعلماء، فكانت له ندوة أسبوعية يحضرها كبار الكتاب والشعراء، ويدور فيها نقاش علمي جاد عرفت باسم ندوة الأديب البيشاوري.

ظلّ يواصل نشاطه العلمي والأدبي حتى وفاته سنة ١٣٤٩هـ.

مكانته العلمية

لعلّ منزلة الأستاذ أغدقت عليه على عادة عصره ألقاب فخمة

منها: «أستاذ الكلام»، و«صاحب الجاه القدسي» و«زُبدة الحضارة الإيرانية» و«مهندس العلاقات الثقافية الآسيوية».

من آثاره العلمية:

١- ديوان أشعاره، نَقَّحه علي عبدالرسولي، ويضمّ ٤٢٠٠ بيت بالفارسية و ٣٧٠ بيتًا بالعربية.

٢- قيصر نامه: يضمّ قصائد في مدح القيصر فيلهلم الثاني وهمة شعب المانيا.

٣- رسالة في شرح القضايا الأولية، وهي إجابات على أسئلة طرحت عليه.

٤- رسالة نقدية في تصحيح ديوان ناصر خسرو.

٥- تصحيح تاريخ البيهقي.

توجهه السياسي الرسالي

على الرغم من المواقف السلبية للدولة العثمانية تجاه الشيعة، لكن الروح الإسلامية الرسالية التي يتحلى بها أتباع مدرسة أهل البيت جعلتهم يقفون إلى جانب هذه الدولة ضد أعدائها. ومنهم السيد الأديب البيشاوري، فقد أنشد القصائد في مدح الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ودعا لهم بالنصر ودعا على أعدائهم الروس من مثل قوله:

فلينصر الرّب نصرًا آل عثمانا وليظفرنّهم رَجلا وركبانا

وليُعدق الخيز من فتح ومن ظفر يجليان عن الأكباد أجزانا

وخلّص الرّش من روس وسطوته وما يصاقب أبخازًا وأزانا

وطهّر النيل من رجس الدوابل إذ قد نجّسوها من الأنياب أزمانا

وأرسل الرّب في أطام معمرهم من تحت سيلاً ومن علياء نيرانا

حتى يسوّيها أرضاً ويذريها رماداً سَقَقًا منها وحيطانا

ومن الطريف أنه أنشد أيضًا قصائد في مدح الشعب الألماني

لوقوفه إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب الكونية الأولى، وألف

كما مرّ بنا «قيصرنامه» في هذا المجال. ويقصد بقيصر فيلهلم الثاني

قيصر الرايخ (ت ١٩٤١م)، فقد تحالف هذا القيصر مع السلطان

عبدالحميد الثاني، ودعا السلطان لزيارة القدس، فلبّى الدعوة

سنة ١٨٨٩م، وأُجبر على التنازل عن العرش سنة ١٩١٨ بعد هزيمة

ألمانيا في الحرب العالمية الأولى.

كما يدعو المسلمون إلى الاتحاد لنصرة الإسلام أمام هجوم

الروس والبريطانيين على الدولة العثمانية من مثل قوله:

قوموا بني عصبة الإسلام قاطبةً عربًا وهندًا وأتراكًا وأفغانا

لا يقعدنّكم حب الحياة على أن تُغمضوا منكم للذل أجفانا

تسربلوا ثوب عزّ وانهضوا غيرًا أبدوا من الحرب أضرارًا وأسنانا

أليس وصّى رسول الله أمته أن لا تزالوا مدى الأيام إخوانا

يَدْعوكم الله والنور البشير إلى أن أصبحوا لحمى الإسلام أعوانا

فتلكم دعوة ما خلّلت أحدًا عمّت فصمّتكم شيبًا وشبانا

قوموا اطلبوا ثار دين الله عندهم فإنهم انقَعوا للدين ذيفانا

قوموا استجيبوا صريخ الحق وانتدبوا إلى مُجَيِّسكم مثني ووحدا

أشهر قصائده العربية

قالها في رثاء الشيخ فضل الله نوري. وسبب اشتهاها موقفه الرسالي من هذا الرجل الشهيد الذي أعدم ظلماً وعدواناً بتهمة عدائه للحركة الدستورية! والواقع أن الشيخ الشهيد كان يطالب بدستور يستقي من القرآن والسنة لامن الأنظمة الغربية. لهذا الموقف أثاروا حوله ضجيجاً، وقالوا إنه يعارض إقامة النظام الدستوري، الذي يسمى في الفارسية (المشروطة) بينما كان يقولها فضل الله نوري نريدها (مشروعة) أي مستقاة من الشرع الإسلامي. فحاكموه وأعدموه. فوجّه السيد الأديب البيشاورى صرخه اعتراض وسط هذا الضجيج، مما يدل على شجاعته ورسالته ووعيه فقال:

لازال من فضل الإله وجوده
جوّد يفيض على ثراك همولاً
روى عظامك وابل من صيبه
يعتاد رشك بكرة وأصيلاً
تلکم عظام كدّن أن يأخذن من
جوّ إلى عرض الإله سبيلاً
همت عظامك أن تشايح روحها
يوم الزماع إلى الجنان رحياً
فتصدت معه قليلاً ثم ما
وجدت لسنة ربهات تديلاً
فالروح راقٍ والعظام تنزلت
كالآية يوحي بها تنزيلاً
خنقوك لخنقاً عليك وإنّما
خنقوك كيما يخنقو التهليلاً

شعره العربي الوجداني

في ديوان الأديب النيشابوري كما ذكرنا ٣٧٠ بيتاً بالعربية، تدل على ذوقه الأدبي، رغم أن لغته الأولى الأردية والثانية الفارسية، لكن

ارتباطه بدائرة الحضارة الإسلامية جعلته يتجه إلى اللغة العربية ويرتفع بها إلى درجة إنشاد الشعر العربي.

ومن شعره الوجداني قوله:

قد صحت من عجب رأيت فصبحوا
رَشاً يكلم والكلام نصيح
أوليس يعجب ريم وجرة ناطقاً
ونسيب شعر صاغة ومديح
بيدي على العثاق سرّ ضميرهم
في لحنه التعريض والتصريح
قد هاج طوفان الحوادث مغرقاً
من يدعي المنجاة وهو سبوح
قد فارتنور الورى فاستقيظوا
نصحي سفينتكم وإنّي نوح
* * *

غدا جسمي كمظلمة الليالي
وصدغ الهام مني كالنهار
فهذا ما استفدت من الليالي
وأيامي على طول الدوار
* * *

إذا اشتد الهوى ليلاً بقلبي
وضاق سبيل إسعاف ونجح
فقلت أميظها بدعاء صبح
فقال لي أميتك قبل صبح
ومن يبيع السلامة فليغمض
سوام الطرف منه عن الملاح